

الفصل الثالث

الملامح الإسلامية في شعر المتنبي
وبروز الشخصية الإسلامية في شعره

أ - عقيدة المتنبي :

١ - الإيمان بالله الخالق .

٢ - الإيمان بالملائكة والشياطين .

٣ - الإيمان بالأنبياء والكتب السماوية .

٤ - الإيمان باليوم الآخر .

ب - الرابطة الدينية عند المتنبي .

ج - اقتباس المتنبي من القرآن الكريم وتأثره به .

د - الفقه عند المتنبي .

هـ - التصوف الإسلامي .

و - شعر الجهاد .

ز - هل كانت الحروب الحمدانية البيزنطية حروباً صليبية؟

obeikandi.com

الفصل الثالث

عقيدة المتنبّي

قبل أن أتحدث عن عقيدة الشاعر عَلِيّ أن أوضح مفهوم العقيدة.

العقيدة في اللغة لها عدة معانٍ: فتأتي بمعنى الصدق والثبات نقول: اعتقد بينهما الإخاء، أي صدق وثبت. وتأتي بمعنى الصلابة، نقول: اعتقد النوى، أي صلب. وتأتي بمعنى اللزوم مثل الخيل معقود في نواصيها الخير، أي ملازم، فأساس التسمية في اللغة هو ما انعقد عليه القلب.

والعقيدة هي الإيمان، ومعنى الإيمان هو التصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل لأنه إذا كان التصديق من غير دليل لا يكون إيماناً إذ لا يكون تصديقاً جازماً إلا إذا كان ناجماً عن دليل فإن لم يكن له دليل لا يتأتى فيه الجزم، فيكون تصديقاً فقط لخبر من الأخبار ولذا فلا يُعدّ إيماناً وعليه فلا بد أن يكون التصديق عن دليل حتى يكون جازماً أي حتى يكون إيماناً وكذلك لا بد أن يكون هذا التصديق جازماً حتى يكون عقيدة، فإن لم يكن جازماً لم يكن إيماناً ولا يُعدّ عقيدة وكذلك لا بد أن يكون هذا التصديق مطابقاً للواقع حتى يكون إيماناً أي عقيدة، فإن لم يكن مطابقاً للواقع فلا يكون إيماناً.

والعقائد والأحكام الشرعية كلّها أفكار فـ«لا إله إلا الله» فكر، و﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ﴾ [المائدة: ٣] فكر، والفرق بينهما هو أن الحكم الشرعي متعلّق بفعل العبد، أما العقيدة فهي ما طلب الإيمان به، فكل ما كان من أفعال العباد، وما طلب فيه العمل يُعدّ من الأحكام الشرعية وكل ما لم يكن متعلّقاً بأفعال العباد أو ما طلب فيه الإيمان يُعدّ من العقائد، على أنه يمكن تمييز الفكر ومعرفة كونه من العقائد أو من الأحكام الشرعية من النظر إلى دليله فإن كان الدليل متعلّقاً بأفعال العباد كقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]، فهو من الأحكام

الشرعية، وإن كان الدليل خطاباً متعلقاً بأفعال العباد وطلب فيه الإيمان كقوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٣٦]، فهو من العقائد. فنصب خليفة للمسلمين، وجهاد الكفار من الأحكام الشرعية، وعصمة الأنبياء، والعذاب يوم القيامة ونعيم الجنة من العقائد.

والأحكام الشرعية يجوز أن يكون دليلها ظنيّاً ويجوز أن يكون قطعياً بخلاف العقائد فإنه يجب أن يكون دليلها قطعياً، ولا يجوز أن يكون ظنيّاً بحال من الأحوال فالعقائد لا تؤخذ إلا عن يقين. وكذلك عرفوا العقيدة بأنها فكرة كلية عن الكون والإنسان والحياة وعمّا قبل الحياة الدنيا وهو الإيمان بالله تعالى وعمّا بعدها وهو الإيمان باليوم الآخر وعن علاقتها بما قبلها وهي الخلق وبما بعدها وتشمل الإيمان بالملائكة والنبیین والكتب المنزلة.

والفكرة الكلية التي حدّدها الإسلام عن الكون والإنسان والحياة هي الفكرة الصحيحة المطابقة للواقع الثابتة بالدليل العقلي الجازم ولا تصل هذه الفكرة لدى الفرد إلى منزلة العقيدة إلا إذا آمن بها إيماناً ناشئاً عن دليل عقلي جازم.

أركان العقيدة الإسلامية:

- ١ - الإيمان بالله .
- ٢ - الإيمان بالملائكة .
- ٣ - الإيمان بالكتب السماوية .
- ٤ - الإيمان بالرسل .
- ٥ - الإيمان باليوم الآخر .
- ٦ - الإيمان بالقدر .

١ - الإيمان بالله الخالق:

الإيمان بالله تعالى هو: الأساس الذي تقوم عليه العقيدة الإسلامية وهو أعظم أمر في هذا الدين إذ يتفرع عنه كل ما في الإسلام من مناهج الإصلاح والخير

والهدى، والإيمان بالله هو المحور الذي تركز عليه رسالات الأنبياء جميعاً فكان الإسلام متفقاً مع الرسالات الإلهية السابقة في دعوته إلى الإيمان بالله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فهل كان المتنبي مؤمناً بالله؟ هذا ما سنراه في شعره.

إن دراستي لديوان أبي الطيب تثبت إسلام هذا الرجل، فإن ما في شعر هذا الشاعر يوحي بأنه قوي الإيمان، عميق النظرة في عقيدته، فاهم لدقائق شريعتها. إن أبا الطيب في أثناء وجوده في كتاب أشراف العلويين، حفظ أجزاء كثيرة من القرآن الكريم، وكان لذلك أثر كبير في تكوينه الخلقي والفكري^(١).

لقد كان أبو الطيب في أول أمره متورعاً^(٢)، اسمعه يقول:

تَعَرَّبَ لَا مُسْتَعْظِماً غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَا قَابِلاً إِلَّا لَخَالِقِهِ حُكْماً^(٣)
كان أبو الطيب لا يخرج عن حدود الوفاة مُتَزَنّاً، لا يلين للشهوات، ولا يلقي إليها مقاده، مترفعاً عن سفاسف الأخلاق، متمسكاً بتعاليمها، آخذاً نفسه بالجد الذي لا يفتر، كان لا يقرب التهم ولا يدانيها.

قال علي بن حمزة^(٤): «بلوت من أبي الطيب بثلاث خلال حميدة وتلك ما كذب ولا زنا ولا لاط ولا أتى أمراً منكراً يؤخذ عليه، خالف الأدباء من أهل عصره فما شرب الخمر ولا حمل وزرها، كان منصرفاً إلى العلم قارئاً له محققاً لدقائقه طويل النظر والتدبر فيما يمر به من أحداث الزمان، كثير الاهتمام بأمر الأمة الإسلامية التي هو فيها»^(٥).

(١) بلاشير: أبو الطيب المتنبي ص ٤٢-٤٣.

(٢) أبو العلاء المعري: رسالة الغفران.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ٤ ص ١٠٧.

(٤) علي بن حمزة: كان من أئمة العربية، مات في رمضان سنة ٣٧٥هـ في صقلية ولما دخل المتنبي بغداد سنة ٣٥٢ كان بها علي بن حمزة فنزل المتنبي في داره وقرأ عليه.

محمود شاكر: المتنبي ج ١ ص ٣٩.

(٥) محمود شاكر: المتنبي ج ١ ص ٣٩.

إنَّ أبا الطيب يؤمن بالله الواحد الأحد الذي يقضي بالتصر لمن شاء من عباده وبالهزيمة لمن رغب .

إنَّ شاعرنا لم يَتهَم بِالْحَاد وَلَا زَنْدَقَة إِذَا اسْتَشِينَا مَا اتَّهَمَ بِهِ فِي أَوَّلِ حَيَاتِهِ مِنْ ادِّعَاءِ النَّبَوَّةِ .

ومن حُسْنِ حظ أبي الطيب أنَّ أحدًا من دارسيه لم يُنكر عليه الركن الأول من أركان الإسلام وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسولُ الله، فهو لم تَبْدُر منه بادرة إنكار الذات الإلهية وقد أكَّد هذه الحقيقة أكثر الباحثين من قدماء ومحدثين .

فقد أكد المعري^(١) والجرجاني^(٢) وعزام^(٣) وشعيب^(٤) وسهيل عثمان ومنير كنعان^(٥) وهادي نهر^(٦) تورعه وثبوت معتقده في الله .

وإليك بعض الأبيات التي تبرهن صحة قولنا :

قال من قصيدة يهجو كافوراً^(٧) :

مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُخْزِي خَلِيقَتَهُ وَلَا يُصَدِّقَ قَوْمًا فِي الَّذِي رَعَمُوا^(٨)

(١) أبو العلاء المعري : رسالة الغفران، تحقيق : عائشة عبد الرحمن ص ٤٢٢-٤٢٦ .

(٢) القاضي الجرجاني : الوساطة، تحقيق : أحمد عبد الرحمن الزين ص ٥٧ .

(٣) عبد الوهاب عزام : ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام ص ٢٣٨-٢٤٢ .

(٤) محمد عبد الرحمن شعيب : المتنبي بين ناقديه ص ٣٤١-٣٤٨ .

(٥) سهيل عثمان، منير كنعان : المحصول الفكر عند المتنبي ص ١٩ .

(٦) هادي نهر : مع المتنبي في شعره الحربي ص ٢١١ .

(٧) كافور أبو المسك الأخشيدي، ولد في النوبة، توصل إلى الاستيلاء على الحكم صمد في وجه الزحف الفاطمي، جمع حوله الأدباء والعلماء والشعراء، توفي سنة ٩٦٨م مدحه المتنبي ثم هجاه، اشتراه محمد بن طفج بثمانية عشر ديناراً، دُعي له على المنابر بالديار المصرية والشامية والحجازية، كان ذكياً جيد السيرة .

المراجع : البداية والنهاية ج ١ ص ٢٦٦ . المنجد في الأعلام ص ٤٢٧ .

(٨) العكبري : التبيان في شرح الديوان ج ٤ ص ١٥١ .

وقال من قصيدة يمدح سيف الدولة ويذكر الخيمة التي رمتها الريح :

فَمَا أَعْتَمَدَ اللَّهُ تَقْوِيضَهَا وَلَكِنْ أَشَارَ بِمَا تَفْعَلُ^(١)

وقال من قصيدة يذكر فيها حمّاه التي كانت تغشاها في مصر :

يُذِمُّ لِمُهْجَتِي رَبِّي وَسَيْفِي إِذَا أَحْتَاجَ الْوَحِيدُ إِلَى الدَّمَامِ^(٢)
قال في صباه وهو في المكتب :

فِيْبٍ وَاثِقاً بِاللَّهِ وَثَبَّةً مَاجِدٍ يَرَى الْمَوْتَ فِي الْهَيْجَا جَنَى التَّخْلِ فِي الْفَمِ^(٣)

وقال في قصيدة يمدح سيف الدولة عند منصرفه من بلد الروم سنة ٣٤٥هـ :

وَمُهِذَّبَ أَمْرَ الْمَنَايَا فِيهِمْ فَأَطَعْنَهُ فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ^(٤)

وقال يمدح سيف الدولة وقد أمر له بفرس وجارية :

وَلَوْلَا قُدْرَةُ الْخَلَاقِ قُلْنَا أَعْمَدًا كَانَ خَلْقُكَ أَمْ وَفَاقًا^(٥)

قال من قصيدة يصف فرساً تأخر الكلاء عنه بوقوع الثلج :

أَيَّ كَبَتْ كُلِّ حَاسِدٍ مَنَافِقِي أَنْتَ لَنَا وَكُلُّنَا لِلْخَالِقِ^(٦)

قال من قصيدة يمدح سيف الدولة سنة ٣٣٧هـ وهي أول ما أنشده :

عَلَى عَاتِقِ الْمُلْكِ الْأَغْرَ نَجَادُهُ وَفِي يَدِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ قَائِمُهُ^(٧)

(١) العكبري : التبيان في شرح الديوان ج٣ ص ٦٩ .

(٢) المصدر نفسه ج٤ ص ١٤٤ .

(٣) المصدر نفسه ج٤ ص ٣٤ .

(٤) المصدر نفسه ج٤ ص ١٨٣ .

(٥) المصدر نفسه ج٢ ص ٣٠٣ .

(٦) المصدر نفسه ج٢ ص ٣٥٨ .

(٧) المصدر نفسه ج٣ ص ٣٤١ .

وقال يرثي والدة سيف الدولة وقد تُوفيت سنة ٣٣٧هـ:

صَلَاةُ اللَّهِ خَالِقِنَا حَنُوطٌ عَلَى الْوَجْهِ الْمَكْفَنِ بِالْجَمَالِ^(١)

وقال من قصيدة يمدح سيف الدولة وكان قد توقف عن الغزو لما سمع بكثرة عدد جيش الروم:

وَنُصْفِي الَّذِي يُكْنَى أَبَا الْحَسَنِ الْهَوَىٰ وَنُرْضِي الَّذِي يَسْمَى الْإِلَهَ وَلَا يُكْنَى^(٢)
وقال:

أَلَا إِنَّمَا كَانَتْ وَفَاةُ مُحَمَّدٍ دَلِيلًا عَلَى أَنْ لَيْسَ اللَّهُ غَالِبُ^(٣)
إِنَّ الْأَبْيَاتَ السَّابِقَةَ ثَبَتَ إِسْلَامَ الشَّاعِرِ وَتَوْحِيدَهُ وَلَكِنْ لَيْسَ مَعْنَى أَنَّهُ مُسْلِمٌ
بأنه إمام المسلمين، فهو إن لم يكن أفضل إيماناً من الكثيرين، يكفي أنه لا يخضع
لمخلوق مطلقاً ولا يقبل حكماً إلا لله وحده.

٢ - الإيمان بالملائكة والشياطين:

الإيمان بالملائكة ركنٌ من أركان العقيدة الإسلامية.

أبو الطيب واحد من جُهور الأمة الإسلامية التي كَرَّمَهَا اللَّهُ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ، لِيَكُونَ مَعْجَزَةً لَهُ وَلِيَنْقِذَ بِهِ
الْأُمَّةَ مِنَ الضَّلَالِ إِلَى الْهَدَايَةِ، وَمَنِ الْكَفَرِ إِلَى الْإِيمَانِ، وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُؤْمِنُوا
بِكُلِّ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَالْكَفَرُ بآيَةٍ مِنْهُ كَالْكَفَرِ بِالْقُرْآنِ كُلِّهِ، وَقَدْ جَاءَ فِي
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ذِكْرُ الْمَلَائِكَةِ وَالشَّيَاطِينِ.

(١) حنوط: مادة حنط كل طيب يخلط لغسل الميت، القاموس المحيط جـ ٣ ص ١٢.

العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ ٣ ص ١٢.

(٢) المصدر نفسه جـ ٤ ص ١٦٦.

(٣) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٠٩.

والإيمان بالملائكة من أركان الإيمان، ونحن كمسلمين وإن كنا لا نرى الملائكة ولا نسمعهم، فإننا نؤمن بوجودهم لأن الله قد أخبرنا عنهم وهم من عالم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، فلا يصح إيماننا إلا إذا آمنا بوجود الملائكة وهم جُندٌ من جنود الله يطيعونه وينفذون أوامره.

قال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

وبعض الملائكة حفظة يسجلون أعمال الناس وأقوالهم. قال تعالى: ﴿وَلِئَلَّكُمْ لِحَفِظِينَ﴾ كَرَامًا كَنِينٍ ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

والمتنبي كما سبق أن ذكرنا من أفراد هذه الأمة الإسلامية. قرأ القرآن وآمن به وحفظ أجزاء كثيرة منه، لذلك فإن ثقافته إسلامية خالصة، وليس غريباً أن نسمعه يكثر من ذكر الملائكة والشياطين، وقد سمى لنا هذا الشاعر من بين الملائكة جبريل (عليه السلام) ومنكراً ونكيراً، كما تحدّث عن الملك الحفيظ الكاتب، بالإضافة إلى ذلك تحدّث عن إبليس وخصه بأنه رمز من رموز الشر، وتحدّث عن الجن والجنة ونسوق إليك بعض الأبيات التي تثبت صحة معتقده في هذه الموجودات التي ذكرها رب العرش العظيم والتي لو أنكرها يعدّ خارجاً عن ملة الإسلام.

قال من قصيدة يمدح التنوخيين:

فأعيدُ أخوتَه ربَّ محمدٍ أن يحزنوا ومحمدٌ مسرورٌ
أو يرغبوا بقصورهم عن حفرةٍ حيّاهُ فيها مُنكّرٌ ونكيرٌ^(١)

قال في قصيدة يرثي محمد بن إسحاق التنوخي:

وحفيفُ أجنحةِ الملائكِ حوله وعيونُ أهلِ اللاذقيةِ صُورٌ^(٢)

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ ٢ ص ١٣٣.

(٢) حفيف: صوت الأجنحة وحسها.

العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ ٢ ص ١٣٠.

قال في قصيدة يمدح علي بن منصور الحاجب :
فلقد دهشت لما فعلت ودونته ما يدهش الملك الحفيظ الكاتب^(١)
قال من قصيدة يمدح بدر بن عمار^(٢) :
سلكت تماثيل القباب الجن من شوق بها فأدرن فيك الأغنيا^(٣)
وقال من قصيدة وقد سأله بدر بن عمار الجلوس :
لَعُظُمْتَ حَتَّى لَوْ تَكُونُ أَمَانَةً مَا كَانَ مُؤْتَمِنًا بِهَا جَبْرِينَ^(٤)
قال من قصيدة يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران :
حق الكواكب أن تزورك من علي وتعودك الأسد من غاباتها
والجن من ستراتها والوخش من فلاتها والطير من وكناتها^(٥)
قال من قصيدة يمدح عضد الدولة^(٦) ولديه أبا الفوارس وأبا دلف :
مَلَاعِبُ جَنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا سَلِيمَانٌ لَسَارَ بِتُرْجَمَانٍ^(٧)
قال يمدح محمد بن زريق الطرسوسي :
يَا مَنْ نَلُودُ مِنَ الزَّمَانِ بَظْلُهُ حَقًّا وَنَظْرُهُ بِاسْمِهِ ابْنُ لَيْسَا^(٨)

(١) المصدر نفسه ج١ ص ١٣٣ .

(٢) بدر بن عمار : هو الحسن بن عمار بن إسماعيل الأسدي ، ولي طبرية من أبي بكر محمد بن رائق ليتولى قيادة جيشها سنة ٣٢٨هـ كان عربياً يغيض الأعاجم فأحبه المتنبي .

(٣) العكبري : التبيان في شرح الديوان ج٤ ص ٢٠٣ .

(٤) المصدر نفسه ج٤ ص ٢٠٨ .

(٥) المصدر نفسه ج١ ص ٢٣٤ .

(٦) عضد الدولة : هو أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة أبي علي ، الحسن بن أبي شجاع بويه الديلمي من أعقاب سابور ذي الأكتاف وهو أول من تملك من آل بويه وكان ملكاً لشيراز قدم عليه المتنبي سنة ٣٥٤هـ ، «البداية والنهاية ج١ ص ٢٩٩» .

(٧) العكبري : التبيان في شرح الديوان ج٤ ص ٢٥٢ .

(٨) المصدر نفسه ج٢ ص ٢٠٠ .

٣ - الإيمان بالأنبياء والكتب السماوية :

يعترف أبو الطيب بالأنبياء والكتب السماوية المنزلة عليهم وبمعجزاتهم ومن أركان الإيمان بالإسلام، الإيمان بالأنبياء والكتب التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على بعض رسله بطريق الوحي، لهداية الناس وإرشادهم إلى طريق الحق والخير، قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا تَفَرُّقٌ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فالإيمان بالرسول والكتب المنزلة عليهم واجب على كل مسلم، ولا تصح عقيدة المسلم إلا إذا آمن بذلك.

وأبو الطيب واحد من أفراد الأمة الإسلامية، لم نسمع عنه أنه جحد شيئاً من ذلك، بل ورد ذكر الأنبياء والكتب المنزلة عليهم في شعره.

إنّ المتنبّي شعر بغربة أثناء وجوده في دار (نخلة)^(١)، فيشبه تلك الغربة التي أحسّ بها بالغربة التي أحسّ بها عيسى عليه السلام أثناء وجوده عند اليهود.

وقال من قصيدة في صباه:

مَا مُقَامِي بِأَرْضِ نَخْلَةٍ إِلَّا كَمُقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ^(٢)
وها هو يذكر النبي داود عليه السلام فيقول:

لَأُمّةٌ فَاضَةٌ أَضَاةٌ دِلَاصٌ أَحْكَمْتُ نَسْجَهَا يَدَا دَاوُدَ^(٣)

(١) نخلة: هي قرية لبني كلب على بعد ثلاثة أميال من بعلبك.

(٢) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ١ ص ٣١٩.

(٣) لأمة: درع ملتزمة الصنعة.

القاضة: السابغة.

اضاة: صافية.

دلاص: البراق.

العكبري: ج ١ ص ٣٢٠.

إنَّ المتنبي شعر بأنَّ الناس الذين يقيم بينهم لا يعرفون قدره كما لم تعرف
ثمود قدر صالح :

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود^(١)
كذلك يذكر ذا القرنين، وعازر، وعيسى، وموسى، وسليمان :

قال من قصيدة يمدح محمد بن زريق الطرسوسي :

لو كان ذو القرنين أعملَ رأيهِ لَمَا أَتَى الظُّلُمَاتِ صِرْنَ شُمُوساً^(٢)
أو كان صادفَ رأسَ عازرَ^(٣) سَيْفُهُ في يومٍ معركةٍ لأعيا عيسى
أو كان لُجَّ البحرِ مِثْلَ يَمِينِهِ ما انشَقَّ حتَّى جاز فيه موسى^(٤)
وقال يذكر سليمان :

ملاعِبُ جَنَّةٍ لو سار فيها سُلَيْمَانُ لَسَارٍ بِتَرْجَمَانٍ^(٥)
واسمعه يذكر الحواريين^(٦) من قصيدة قالها يمدح سيف الدولة سنة ٣٣٩هـ :
ولو رآه حوارِيوهُمُ لَبَنَوْا على محبَّتِهِ الشَّرْعَ الذي شرَعُوا^(٧)
وقال يذكر المسيح عليه السلام في قصيدة قالها يمدح علي بن مكرم :

فَأَجَرَكُ الْإِلَهُ عَلَى عَلِيلٍ بَعَثَتْ إِلَى الْمَسِيحِ بِهِ طَبِيباً^(٨)

(١) العكبري : ج١ ص ٣٢٤ .

(٢) ذو القرنين : هو الإسكندر الذي ملك البلاد ودخل الظلمات : وهي بحار .
أعمل : استعمل .

(٣) عازر : رجل من بني إسرائيل هو الذي أحياه الله لعيسى بن مريم .

(٤) العكبري : التبيان في شرح الديوان ج٢ ص ١٩٨-١٩٩ .

(٥) المصدر نفسه ج٢ ص ٢٥٢ .

(٦) الحواريون : هم أصحاب عيسى عليه السلام وفي تسميتهم بهذا الاسم أقوال أحدها أنهم كانوا قضاة يبيضون الثياب ، ومنه الحور البياض في عيونهم ، وقيل الحواري هو الناصر وكانوا أنصار عيسى بن مريم عليهما السلام ، ومنه قوله ﷺ : « الزبير ابن عمتي وحواري من أمتي » ، وقيل هم أصفاء الأنبياء وخاصتهم .

(٧) العكبري : التبيان في شرح الديوان ج٢ ص ٢٢٥ .

(٨) المصدر نفسه ج١ ص ١٤٥ .

قال يذكر الخضر:

إذا ما ذَكَّرْنَا جُودَهُ كَانَ حَاضِراً نَأَى أَوْ دَنَا يَسْعَى عَلَى قَدَمِ الْخَضِرِ^(١)

٤ - الإيمان باليوم الآخر:

أبو الطيب يؤمن بالموت وأنَّ مصير الإنسان إلى زوال فالحياة الدنيا دار زوال والحياة الآخرة دار قرار.

وللشاعر تأملات متنوعة حول الميت، فهو يعترف كما يعترف الجميع من قبله ومن بعده بأن الموت نهاية كل حي وكل أثر يخلفه الأحياء ولو بقي الأثر مدة بعد صاحبه.

بالموت يتميز الرجال ويعرف الشجاع القادر على بذل حياته الغالية من الجبان الحريص على أنانيته الخاصة.

بالموت نخبر تمسك الإنسان بمعتقداته ومحافظته على القيم التي يدعي الإيمان بها فأمام الموت يذوب التبجح.

والمتنبي يرى أنه ما دام الموت محيقاً بنا من كل جانب ظافراً بأرواحنا آخر الأمر، فما هو الموقف الذي توحيه علينا إنسانيتنا منه؟ هل هو السعي إلى تجنبه، أو الهرب منه بكل وسيلة علت أو سفلت؟ هل هو الحرص على أيام وساعات قليلة نعيشها بمنجاة منه؟ لا إن منطق أبي الطيب هذا ضد منطق الضعفاء الجبناء المتخاذلين، إنه موقف الشجاعة.

وما دامت الحياة قصيرة فلن تستقر أو يهنأ بها صاحبها إذا زادت بعض الهنئات، فما على الشخص إلا أن يلغي من قائمة أهدافه مطلب البقاء الذي لن يحصل عليه أبداً، وعليه أن ينشغل بالأهداف الأخرى.

(١) المكبري: التبيان في شرح التبيان ج٢ ص ١٣٧.

إن أبا الطيب يطلب من الإنسان أن لا يجزع من الموت لأنه أمر طبيعي، قال من قصيدة يعزى أبا شجاع عضد الدولة (وقد ماتت عمته):

نَحْنُ بَنُو الْمَوْتَى فَمَا بَالُنَا تَعَاَفُ مَا لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ
تَبَخَّلْ أَيْدِينَا بِأَزْوَاجِنَا عَلَى زَمَانٍ هِيَ مِنْ كَسْبِهِ
فَهَذِهِ الْأَزْوَاجُ مِنْ جَوْهٍ وَهَذِهِ الْأَجْسَامُ مِنْ تُرْبِهِ
يَمُوتُ رَاعِي الضَّأْنِ فِي جَهْلِهِ مَوْتَةً جَالِيئُوسٍ فِي طَبِّهِ^(١)

والموت مصير كل حي فما من أحد مخلد في هذه الحياة الدنيا والناس يسرون في الحياة أفواجاً إثر أفواج بين الميلاد والموت.

قال من قصيدة يعزى سيف الدولة بمناسبة وفاة عبده يماك التركي:

سَيَقُنَا إِلَى الدُّنْيَا فُلُو عَاشَ أَهْلُهَا مُنِعْنَا بِهَا مَسْنُ جَيْتَةٍ وَدُحُوبٍ
تَمَلَّكَهَا الْآتِي تَمَلَّكَ سَالِبٍ وَفَارَقَهَا الْمَاضِي فِرَاقَ سَلِيبٍ^(٢)

وقال من قصيدة يمدح الحسين بن إسحاق التتوخي:

عَلَى ذَا مَضَى النَّاسِ: اجْتِمَاعٌ وَفِرْقَةٌ وَمَيِّتٌ وَمَوْلُودٌ وَقَالَ وَوَامِقٌ^(٣)

وقال يمدح أبا المنتصر: شجاع محمد بن أوس بن الرضا الأزدي:

أَبْنِي أَبِينَا نَحْنُ أَهْلُ مَنَازِلٍ أَبْدَا غُرَابُ الْبَيْنِ فِيهَا يَنْعَقُ
نَبْكِي عَلَى الدُّنْيَا وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ جَمَعَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا
أَيْنَ الْأَكَاسِرَةِ الْجَبَابِرَةِ الْأَلَى كَنَزُوا الْكُنُوزَ فَمَا بَقِيْنَ وَلَا بَقُوا
وَالْمَوْتُ آتٍ وَالتَّفُوسُ نَفَائِسُ وَالْمُسْتَعْرِ بِمَا لَدَيْهِ الْأَحْمَقُ^(٤)

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج١ ص ٢١١-٢١٣.

(٢) المصدر نفسه ج١ ص ٥٠.

(٣) المصدر نفسه ج٢ ص ٣٤٢.

(٤) المصدر نفسه ج٢ ص ٣٣٤-٣٣٥.

وقال من قصيدة يرثي والده سيف الدولة وقد توفيت سنة ٣٣٧هـ:

نَعِدُّ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِي وَتَقْتُلُنَا الْمُنُونُ بِلا قِتَالِ
وَنَرْتَبِطُ السَّوَابِقَ مُقَرِّبَاتِ وَمَا يُنْجِينَ مِنْ خَبَبِ اللَّيَالِي
بِدَارِ كُلِّ سَاكِنِهَا غَرِيبٌ طَوِيلُ الْهَجْرِ مُنْبِتُ الْجِبَالِ
يُذَفِّنُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَتَمْشِي أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي^(١)

وقال من قصيدة يرثي أبا الهيجاء عبد الله بن سيف الدولة:

تَخُونُ الْمَنَايَا عَهْدَهُ فِي سَلِيلِهِ وَتَنْصُرُهُ بَيْنَ الْفَوَارِسِ وَالرَّجُلِ
وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا سَارِقٌ دَقَّ شَخْصُهُ يَصُولُ بِلا كَفٍّ وَيَسْعَى بِلا رِجْلِ
إِذَا مَا تَأَمَّلْتَ الزَّمَانَ وَصَرْفَهُ تَيَقَّنْتَ أَنَّ الْمَوْتَ ضَرْبٌ مِنَ الْقَتْلِ^(٢)

وقال من قصيدة نظمها ليرثي بها أبا شجاع:

أَيِّنَ الَّذِي الْهَرَمَانَ مِنْ بُنْيَانِهِ مَا قَوْمُهُ مَا يَوْمُهُ مَا الْمَصْرَعُ
تَتَخَلَّفُ الْأَثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا حِينًا وَيَذَرُكُهَا الْفَنَاءُ فَتَبْعُ
لَمْ يُرْضِ قَلْبَ أَبِي شُجَاعٍ مَبْلَغُ قَبْلَ الْمَمَاتِ وَلَمْ يَسْغُهُ مَوْضِعُ
وَصَلَّتْ إِلَيْكَ يَدٌ سَوَاءٌ عِنْدَهَا أَلْبَازُ الْأَشْهَبِ وَالْغُرَابُ الْأَبْقَعُ^(٣)

وقال من قصيدة بمصر لم ينشدها كافور^(٤):

غَيْرَ أَنَّ الْفَتَى يُلَاقِي الْمَنَايَا كَالْحَاتٍ وَلَا يُلَاقِي الْهَوَانَا
وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبَقَّى لِحَيٍّ لَعَدَدْنَا أَضْلَلْنَا الشُّجْعَانَا
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بَدُ فَمِنَ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا

* * *

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٣ ص ٨، ١٥، ١٨.

(٢) المصدر نفسه ج٣ ص ٤٧، ٤٨، ٥١.

(٣) المصدر نفسه ج٢ ص ٢٧٠، ٢٧٤.

(٤) المصدر نفسه ج٤ ص ٢٤١.

الرابعة الدينية عند المتنبي

الرابعة الدينية في الإسلام هي الرابطة التي تربط المسلم مع أخيه المسلم في أي مكان، والمتنبي يعتز بالإسلام، فقد عاش شاعرنا في أسرة مسلمة علوية أو هاشمية، وهذه الأسرة وجهته توجيهاً دينياً حين ألحقته في كتاب أشرف العلويين فحذق اللغة العربية شعراً ونثراً، وحفظ أجزاء كثيرة من كتاب الله القرآن الكريم، وتتقف بالثقافة الإسلامية التي كانت تسود في عصره.

وشاعرنا لم يُتهم بالحداد أو زندقة، وقد دلت أشياء في ديوانه أنه كان متورعاً موحداً.

إننا نلمس من دراسة ديوان الشاعر أنه يحمل عاطفة دينية قوية، ونزعة إسلامية ولا سيما عندما كان عند الأمير المجاهد سيف الدولة الحمداني، حيث اشترك في الجهاد ضد الروم، وحث المجاهدين على القتال في سبيل الله لكي تُرفع راية الإسلام وتذل راية الشرك، فانتصار المسلمين، انتصار لعقيدة التوحيد على عقيدة التثليث (الأب - الابن - الروح القدس).

إن أبا الطيب يفخر بأن أميره المجاهد هو الذي يؤمن طرق الحجيج للمسلمين فلا يعترضها قاطع طريق أو عدو لئيم، كما أنه يحمي المنابر ويقيم الجمع.

قال من قصيدة يمدح سيف الدولة:

لهذا اليوم بَعْدَ غَدٍ أَرِيحُ وِنَارٌ فِي الْعَدُوِّ لَهَا أَجِيحُ
تَبَيَّتْ بِهَا الْحَوَاضِئُ آمِنَاتٍ وَتَسَلَّمُ فِي مَسَالِكِهَا الْحَجِجُ^(١)

وقال أيضاً:

مُخْلِئٌ لَهُ الْمَرْجُ، مَنْصُوباً بِصَارِحَةٍ لَهُ الْمَنَابِرُ، مَشْهُوداً بِهَا الْجُمُعُ^(٢)

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج١ ص ٢٣٧.

(٢) المصدر نفسه ج٢ ص ٢٢٥.

والشاعر يمقت الخمرة ويتجنبها ما استطاع إلى ذلك سبيلا:

فُوَادُ مَا تُسَلِّيهِ الْمَدَامُ وَعُمْرٌ مِثْلُ مَا تَهْبُ اللَّثَامُ^(١)

وقال عندما سأله أبو خميس الشرب:

أَلَدُّ مِنَ الْمُدَامِ الْخَنْدَرِيسِ وَأَحْلَى مِنْ مُعَاطَاةِ الْكُؤُوسِ
مُعَاطَاةُ الصَّفَائِحِ وَالْعَوَالِي وَإِقْحَامِي خُمَيْساً فِي خُمَيْسِ^(٢)

وأبو الطيب صارم في تفضيله الإسلام على باقي الديانات السماوية، فهو عنده دين التوحيد، والباقون مشركون، فهو يعتبر الديانة النصرانية ديانة غير موحدة نتيجة إيمان النصاري بعقيدة التثليث.

وأبو الطيب عدو لدود لليهود فإذا أراد أن يشوه سمعة فعل أو شخص أو يحط من قيمته نسبته إلى اليهود، يقول شوقي ضيف: «إن الذي بلغ نبأ عزمه على الثورة إلى لؤلؤ وإلى حمص، يهودي سماه المتنبي في بعض شعره ابن كروس الأعور»^(٣).

وإثارة الفتنة بين التتوخين سببها يهودي، وقد نشب خلاف بين أبي الطيب وبين عامل كافور على دمشق وهو يهودي ويعرف بابن ملك^(٤) وذلك لأن الشاعر أنف من مدحه فحاول إفساد كافور عليه.

فاليهود عند أبي الطيب كانوا وما زالوا حتى يومنا هذا ممثلي الشر في العالم، فهم أهل كذب ودس واعتداء حتى على رسل الله فهم لا يراعون عهداً ولا ميثاقاً، وهم أعداء لكل فضيلة وهم سبب نشر كل رذيلة في العالم.

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٤ ص ٦٩

(٢) المصدر نفسه ج٢ ص ١٩١.

(٣) ابن كروس الأعور: يهودي شرير كان يمشي بين العرب بالعداوة والبغضاء. شوقي ضيف: فصول في الشعر ونقده ص ٨٤. أما محمود شاعر فيقول عنه: كان ابن كروس الأعور من صنائع العلويين أو الفاطميين حاول أن يفسد بين المتنبي وبدر بن عمار.

(٤) ابن ملك: يهودي كان يعيش بدمشق هو من أهل تدمر طلب من المتنبي أن يمدحه فرفض. يوسف البديعي: ص ١١٠.

اسمعه يقول من قصيدة يرثي محمد بن إسحاق التنوخي :

أَلَيْسَ عَجِيباً أَنْ يَبْنَى بَنِي أَبٍ لَتُجْلِي يَهُودِي تَدْبُ الْعِقَارِبُ^(١)
وقال من قصيدة وهو في السجن :

فَلَا تَسْمَعَنَّ مِنَ الْكَاشِحِينَ وَلَا تَعْبَأَنَّ بِمَخْكَ الْيَهُودِ^(٢)
وفي تفضيل الإسلام على سائر الأديان قال من قصيدة يمدح سيف الدولة عند
منصرفه من بلد الروم سنة ٣٤٥هـ .

خَضَعْتَ لِمُنْصِلِكَ الْمَنَاصِلُ عَنُوة وَأَذَلَّ دَيْئُكَ سَائِرَ الْأَدْيَانِ^(٣)
ومهذب أَمَرَ الْمَنَايَا فِيهِمْ فَأَطَعْنَهُ فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ
إن هزيمة المسلمين للروم تعني هزيمة التوحيد للشرك ، قال من قصيدة يمدح
سيف الدولة في معركة الحدث سنة ٣٤٢هـ :

وَلَسْتَ مَلِكاً هَازِماً لِنَظِيرِهِ وَلَكِنَّكَ التَّوْحِيدُ لِلشِّرْكِ هَازِمٌ^(٤)
المسلمون هم الموحدون وسيف الدولة يقاتل من أجل إعلاء كلمة الله لذلك
يأمر المسلمين بالجهاد ، فالمسلمون موحدون ، أما النصارى فيؤمنون بعقيدة
فاسدة باطلة زائفة هي عقيدة التثليث ، وقد نطق بهذا القرآن الكريم ﴿ وَقَالَتِ
الَّذِينَ كَفَرُوا أَتَمْسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٠] .

قال من قصيدة بعث بها إلى سيف الدولة بعد فراقه :

وَيَسْتَنْصِرَانِ الَّذِي يَعْبُدَانِ وَعِنْدَهُمَا أَنَّهُ قَدْ صُلِبَ
أَرَى الْمُسْلِمِينَ مَعَ الْمُشْرِكِ مِنْ إِمَّا لِعَجْزٍ وَإِمَّا رَهَبٍ
وَأَنْتَ مَعَ اللَّهِ فِي جَانِبٍ قَلِيلُ الرَّقَادِ كَثِيرُ التَّعَبِ

(١) العكبري : التبيان في شرح الديوان ج١ ص ١٠٨ .

(٢) المصدر نفسه ج١ ص ٣٤٧ .

(٣) المصدر نفسه ج٤ ص ١٨٠-١٨٣ .

(٤) المصدر نفسه ج٣ ص ٣٩١ .

كَأَنَّكَ وَخَدَكَ وَخَذْتَهُ ودَانَ الْبَرِيَّةُ بِأَبْنِ وَأَبْ^(١)
إن مدح المتنبي لابن حمدان بأنه سيف الدولة العباسية، وتكرار هذا وتسمية
الدولة العباسية بالدولة الهاشمية أو دولة الخلافة وأنها خيرة الدول وتسمية الخلفاء
العباسيين أئمة قریش، كل هذا دليل على تدينه وبرهانه على أنه ما كان ينتحل إلا
نخلة جمهور المسلمين في عصره.

اسمعه يقول في مدح بدر بن عمار:

حُسامُ لابنِ رائِقِ المُرجَى حُسامُ المُنَقَّي أَيْامَ صالَا^(٢)

وقال من قصيدة نظمها في مدح سيف الدولة سنة ٣٣٧هـ:

لَقَدْ سَلَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ المَجْدُ مَعْلَمًا فلا المَجْدُ مُخْفِيهِ وَلَا الضَّرْبُ ثَالِمُهُ

عَلَى عَاتِقِ المُلْكِ الْأَعْرَجِ نِجَادُهُ وفي يَدِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ قَائِمُهُ^(٣)

وقال من قصيدة نظمها في مدح سيف الدولة:

وَشَرِكْتُ دَوْلَةَ هَاشِمٍ فِي سَيْفِهَا وَشَقَقْتُ خَيْسَ المُلْكِ عَنْ رِيَالِهِ^(٤)

وقال من قصيدة نظمها في سيف الدولة عندما سار لنصرة أخيه:

لَقَدْ رَأَتْ كُلُّ عَيْنٍ مِنْكَ مَالِئُهَا وَجَرَّبَتْ خَيْرَ سَيْفٍ خَيْرَةُ الدُّوَلِ^(٥)

وقال يمدح سيف الدولة:

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج١ ص ١٠٣-١٠٤.

(٢) المصدر نفسه ج٣ ص ٢٢٦.

(٣) الأعرج: الأبيض.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٣ ص ٣٤١.

(٤) خيس: أجمة الأسد.

الريال: الأسد.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٣ ص ٥٩.

(٥) المصدر نفسه ج٣ ص ٤٠.

إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَمْ يَسْمَكَ سَيْفُهَا حَتَّى أَبْتَلَاكَ فَكُنْتُ عَيْنَ الصَّارِمِ^(١)
وقال من قصيدة نظمها يمدح سيف الدولة ويعتبره إمام الخلفاء العباسيين عند
الجهاد:

إِمَامٌ لِلْأَثَمَةِ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى مَنْ يَتَّقُونَ لَهُ شِقَاقَا^(٢)
وقال يمدح سيف الدولة ويذكر الخيمة التي رمتها الريح:

لَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ مِنْ دَوْلَةٍ لَهَا مِنْكَ يَا سَيْفُهَا مُنْصُلُ^(٣)
وقال من قصيدة نظمها بمناسبة بناء سيف الدولة لمرعرش:

هَنِيئاً لِأَهْلِ الثَّغْرِ رَأْيُكَ فِيهِمْ وَإِنَّكَ حَزَبَ اللَّهِ صِرْتَ لَهُمْ حِزْبَا
لَأَمْرِ أَعَدَّتْهُ الْخِلَافَةُ لِلْعَدَى وَسَمَّتهُ دُونَ الْعَالَمِ الصَّارِمَ الْعَضْبَا^(٤)
فَمَنْ كَانَ يُرْضِي اللُّؤْمَ وَالْكَفَرَ مُلْكُهُ فَهَذَا الَّذِي يُرْضِي الْمَكَارِمَ وَالرَّبَّابَا
فأبو الطيب لم يمدح غير المسلمين، ومدح غير العرب بصفتهم مسلمين
لذلك يخطيء من اعتبر المحور الأساسي للتجمع السياسي في نظرية القومية،
لذلك لم يكن المتنبي شاعراً قومياً كما يقول مارون عبود^(٥) حيث لم تعرف
القومية في زمانه ولم تعرف القوميات إلا في العصر الحديث.

إن المتنبي لم يقصد بالعروبة الانفصال عن جسم الدولة الإسلامية كما يقول
حنا الفاخوري^(٦): «العروبة عنده دائرة فرعية ضمن الدائرة الإسلامية الكبرى»^(٧).

(١) الابتلاء: الاختبار والتجربة.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٣ ص ٣٤٩.

(٢) المصدر نفسه ج٢ ص ٢٩٨.

(٣) المصدر نفسه ج٣ ص ٧١.

(٤) المصدر نفسه ج١ ص ٦٢، ٦٨، ٦٩.

(٥) مارون عبود: الرؤوس ص ٢٣١-٢٤٤.

(٦) حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي ص ٦٣٧-٦٤٠.

(٧) سهيل عثمان ومنير كنعان: المحصول الفكر عند المتنبي ص ٢٢٨.

إن سبب ضعف المسلمين في زمن المتنبي وفي زماننا هذا هو فصل الطاقة العربية عن الطاقة الإسلامية، ولن تعود لنا كرامتنا ومجدنا وعزتنا إلا إذا عدنا إلى الإسلام ومزجنا الطاقة العربية بالطاقة الإسلامية لتعود الدولة الإسلامية التي توحد المسلمين على المبدأ والعقيدة.

إن المتنبي يحاول في مدحه للأمراء والملوك أن يضيفي على حكمهم حالة دينية ويجعلهم مكلفين بمهام إلهية أبرزها نصرته الدين الإسلامي.

والإسلام الذي يلحّ عليه أثناء حديثه هو الدين الإسلامي بشكل عام من غير تفضيل لمذهب على آخر، أو تدخل في شؤون الخلافات المذهبية وقصائده في الحمدانيين أكبر دليل على ذلك.

فهو يؤكد أن السيف سيف الله المجاهد دفاعاً عن الإسلام والمسلمين وعقيدتهم وعباداتهم وخلافتهم، ويستنهض المسلمين عموماً متجاهلاً خلافتهم المذهبية، بل لا يستطيع المرء أن يعرف من قصائده مذهبه ولا مذهب ممدوحه.

فبالرغم من كون المتنبي من أسرة علوية أو هاشمية إلا أنه لا يركز على أحقية أهل البيت بالحكم، وأغلب الذين مدحهم لم يكونوا طالبيين، كما أنه لم يرد على لسانه ذم الصحابة ولا الانتقاص من أبي بكر أو عمر أو عثمان وإليك بعض الأبيات التي تثبت أنه يضيفي على ممدوحه حالة دينية ويجعلهم مكلفين بمهام إلهية.

ها هو أحد ممدوحيه ينتصب ممثلاً للحق ومنصوراً بالعناية الإلهية :

وَقَدْ تَيَقَّنَ أَنَّ الْحَقَّ فِي يَدِهِ وَقَدْ وَثَّقَنَ بِأَنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ^(١)

إن أميره الحمداني سيف دولة الخلافة الذي يجب أن يقدره المسلمون. قال من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر استنقاذه أبا وائل بن داود من الأسر، فالأمير الحمداني سيف دولة الخلافة الذي يجب أن يقدره المسلمون ويساعدوه:

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٢ ص ١٢٠.

أما للخلافة مِنْ مُشْفِقٍ عَلَى سَيْفِ دَوْلَتِهَا الْفَاصِلِ^(١)

وسيف الدولة سياج أمير المؤمنين:

صَانَ الْخَلِيفَةُ بِالْأَبْطَالِ مُهْجَتَهُ صَيَانَةَ الذِّكْرِ الْهِنْدِيِّ بِالْخِلَالِ^(٢)

والدولة دولة هاشم العباسية وأميره سيفها:

وَشَرِكْتُ دَوْلَةَ هَاشِمٍ فِي سَيْفِهَا وَشَقَقْتُ خَيْسَ الْمُلْكِ عَنْ رِيَالِهِ^(٣)

ويظل سيف الدولة ضمن دائرة الخلافة الإسلامية وعاملاً تحت لوائها:

إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَمْ يُسَمِّكَ سَيْفُهَا حَتَّى أَبْتَلاكَ فَكُنْتَ عَيْنَ الصَّارِمِ

وَإِذَا تَسَوَّجَ كُنْتَ دُرَّةَ تَاجِهِ وَإِذَا تَخْتَمَ كُنْتَ فَصَّ الْخَاتَمِ

وَإِذَا انْتَضَاكَ عَلَى الْعَدَى فِي مَعْرِكَ هَلَكُوا وَضَاقَتْ كَفُّهُ بِالْقَائِمِ^(٤)

إن سيف الدولة تهتم به العناية الإلهية لأنه مجاهد في سبيل الله، قال من

قصيدة في مدحه ويذكر الخيمة التي رمتها الريح:

فَمَا أَعْتَمَدَ اللَّهُ تَقْوِيضَهَا وَلَكِنْ أَشَارَ بِمَا تَفَعَّلُ^(٥)

وَعَرَّفَ أَنَّكَ مِنْ هَمِّهِ وَأَنَّكَ فِي نَصْرِهِ تَرْفُلُ^(٦)

إن سيف الدولة سيف الخليفة الذي يعتبر رمز الدولة الإسلامية، قال من

قصيدة نظمها في مدحه يوم عيد الأضحى:

فِيَا عَجَباً مَنْ دَائِلٍ أَنْتَ سَيْفُهُ أَمَا يَتَوَقَّى شَفْرَتِي مَا تَقْلُدَا

وها هو يؤكد على القيمة الدينية لسيف الدولة:

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ ٣ ص ٣١.

(٢) المصدر نفسه جـ ٣ ص ٣٦.

(٣) المصدر نفسه جـ ٣ ص ٥٩.

(٤) المصدر نفسه جـ ٣ ص ٣٤٩.

(٥) المصدر نفسه جـ ٣ ص ٦٩.

(٦) المصدر نفسه جـ ٣ ص ٧٥.

فَأَنْتَ حُسَامُ الْمُلْكِ وَاللَّهُ ضَارِبٌ
وسيف الدولة من حزب الله .

هَنْئاً لِأَهْلِ الثَّغْرِ رَأَيْكَ فِيهِمْ وَأَنْتَ حَزْبُ اللَّهِ صِرْتَ لَهُمْ حِزْباً^(٢)
وقال في قصيدة نظمها بمناسبة معركة الحدث :

وَلَسْتَ مَلِكاً هَازِماً لِنَظِيرِهِ وَلَكِنَّكَ التَّوْحِيدُ لِلشِّرْكِ هَازِمٌ^(٣)
هَنْئاً لَضَرْبِ الْهَامِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَا وَرَاجِيكَ وَالْإِسْلَامِ أَنَّكَ سَالِمٌ
وقال من قصيدة نظمها في مدح دُثَيْرِ بْنِ شَكْرُوذ سنة ٣٥٣هـ :

فَتَمْلِكُ دُثَيْرٌ وَتَعْظِيْمُ قَدْرِهِ شَهِيدٌ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَالْعَدْلِ^(٤)
إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَحْقُقُ النِّصْرَ لِدِينِهِ وَيَمْهَدُ النِّصْرَ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ
من أجل إعلاء كلمته :

وَأَخْلَصَ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ نُصْرَتَهُ وَإِنْ تَغَلَّبَ فِي آلَائِهِ الْأُمَمُ^(٥)
وقد سَمَّى سيف الدولة سيف دولة هاشم ، لأنه سيف للدولة العباسية وبها
يصول على الأعادي :

يَا سَيْفَ دَوْلَةِ هَاشِمٍ مَنْ رَامَ أَنْ يَلْقَى مَنَاكَ رَامَ غَيْرِ مَرَامٍ^(٦)

* * *

(١) العكبري : التبيان في شرح الديوان ج١ ص ٢٧٧ .

(٢) المصدر نفسه ج١ ص ٦٢ .

(٣) المصدر نفسه ج٣ ص ٣٩١ .

(٤) المصدر نفسه ج٣ ص ٢٩٨ .

(٥) المصدر نفسه ج٣ ص ٣٧٦ .

(٦) المصدر نفسه ج٤ ص ١٣ .

اقتباس المتنبي من القرآن الكريم وتأثره به

إن نشأة الشاعر الدينية بالكوفة هيأت له علاقة مبكرة بكتاب الله، وقد كان اهتمام الشاعر بالنحو واللغة العربية دافعاً لحفظ أجزاء كثيرة من القرآن الكريم، كان الشاعر يستند إليها في المناقشات التي دارت بينه وبين من أُملي عليهم ديوانه، وبين من ناظروه في كثير من مسائل النحو واللغة، لذلك نرى الشاعر يستشهد بالقرآن الكريم في شرحه لبعض المفردات التي أوردها في شعره ويحتج ببعض الآيات في ملاحظاته النقدية التي وجهها لشعر غيره مثل قوله عن بيت الأعشى:

وهل تنكر الشمس شمس النها والقمر الواضح الأبرص
عاب المتنبي على الأعشى بسبب استعماله لفظ (الأبرص) قائلاً: لو كانت لفظة الأبرص في كتاب الله لكدرت شرب بلاغته ولما أراد الله تعالى، كنى عنه بقوله: ﴿يَبْقَاءُ مِنْ غَيْرِ شَوْءٍ﴾ [النمل: ١٢].

كذلك دلت بعض الملاحظات التي صدرت عنه على درايته باختلاف القراءات، وقد كان من الطبيعي ممن حفظ القرآن الكريم، أو حفظ أجزاء منه، وأطلع على بعض المذاهب الدينية، أن تتسلل إلى شعره بعض آثار هذا الاطلاع ممثلة في استلهاهم بعض القصص الديني، واستمداد بعض الصور القرآنية، والاستفادة من بعض الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم والاستعانة بمعاني بعض الآيات.

لقد استوحى المتنبي قصة نوح عليه السلام والطوفان في تصوير كرم ممدوحه مساور بن محمد الرومي قائلاً:

لو كُنتَ بحراً لم يكنْ لك ساحِلٌ أو كُنتَ غيثاً ضاقَ عَنْكَ اللُّوحُ^(١)
وَحَشِيتُ مِنْكَ عَلَى الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا ما كَانَ أَنْذَرَ قَوْمَ نوحٍ نوحُ^(٢)

(١) اللوح: الهواء ما بين السماء والأرض.

(٢) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج١ ص ٢٥٤.

شبه الشاعر ممدوحه في البيت الأول بالغيث والبحر وجعل المشبه يفوق المشبه به في العطاء، إذ لا ساحل قد ضاق عنه الفضاء، فكان خوف المتنبي على البلاد من الطوفان، وقد كان إنذار نوح لقومه هنا وليد السياق، إذ كنى به الشاعر عن الطوفان الذي ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: ١]، فنقل الصورة من العذاب إلى الكرم، ولولا ما سبق من تشبيه الممدوح بالغيث والبحر لكانت صورة نوح ضرباً من الإيحاء ساقته إليه القافية.

كما ذكر المتنبي ثموداً في قوله:

وفي جودِ كَفَيْكَ ما جُدْتُ لي بِنَفْسِي ولو كُنْتُ أَشْقَى ثَمُودِ^(١)
أراد (قدارا) عاقر الناقة.

وقد عرض في مدحه كافور الأخشيدي لقصة قميص يوسف قائلاً:

كَأَنَّ كُلَّ سُؤَالٍ فِي مَسَامِعِهِ قَمِيصُ يَوْسُفَ فِي أَجْفَانِ يَعْقُوبِ
إِذَا غَزَتْهُ أَعَادِيهِ بِمَسْأَلَةٍ فَقَدْ غَزَتْهُ بِجَيْشٍ غَيْرِ مَغْلُوبِ^(٢)

لقد استوحى المتنبي قصة يعقوب عليه السلام وقميص يوسف لكي يعطي صورة لكرم كافور الذي لا يرد سائلاً يقصده بل إنَّ سؤال طالبي رفده يجلب السعادة الغامرة إلى قلبه، كفرحة وسعادة يعقوب بقميص يوسف.

أما النبي موسى فقد ذكره الشاعر في عدة مواضع، ذكر أنهيار الجبل أمام ناظريه، وانشقاق البحر، ولعنته للسامري.

قال يرثي محمد بن إسحاق التنوخي:

ما كُنْتُ أَمَلُ قَبْلَ نَعْشِكَ أَنْ أَرَى رَضَوَى عَلَى أَيْدِي الرِّجَالِ تَسِيرُ
خَرَجُوا بِهِ وَلِكُلِّ بَاكِ خَلْفُهُ صَعَقَاتُ مُوسَى يَوْمَ ذُكِّ الطُّورِ^(٣)

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ١ ص ٣٤٧.

(٢) المصدر نفسه ج ١ ص ١٧٢.

(٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٢٩.

لقد صور الشاعر مكانة من يرثيه عند قومه، فوصف النعش وقد حُمِلَ على أيدي الرجال كجبل شامخ «رضوى» لفرط مهابته، ثم نقل الشاعر مشاعر مودعيه خلف النعش إلى مثواه الأخير، وقد ملك الحزن قلوبهم فخرجوا باكين يصعقون كصعقات موسى يوم الطور (الطور جبل كلم الله موسى عليه) أي أن الباكين خلف نعشه كثير ولهم غشيان وصعقات وقال: (خلفه) لأن المشي عندنا خلف الجنائز أفضل.

واستمع إليه وقد استمد من قصة السامري في قصيدة مدح بها المغيث بن علي فقال:

لِمَنْ مَالٌ تَمَزَّقُهُ الْعَطَايَا وَيَشْرِكُ فِي رَغَائِبِهِ الْأَنَامُ
وَلَا نَدْعُوكَ صَاحِبَهُ فَتَرْضَى لِأَنَّ بِصُحْبَةِ يَجِبُ الذَّمَامُ^(١)
تُحَايِدُهُ كَأَنَّكَ سَامِرِي تَصَافِحُهُ يَدُ فِيهَا جُذَامُ^(٢)

استمد المتنبّي من قصة السامري للتمثيل عن قلة اكتراث ممدوحه لكرم صاحبه لارتباط السامري بالقرآن بإيحاء تنفر منه النفوس كلجنة موسى ووحشته ونفور الناس منه، ثم خوفه من أن يمسه أحد. بمعنى آخر: أنت تتجانب هذا المال وتنفر عنه كما ينفر السامري من مصافحة رجل في يده جذام.

أما انشقاق البحر لموسى (عليه السلام) فقد ذكره في قصيدة مدح بها محمد ابن زريق الطرسوسي.

أَوْ كَانَ لُجَّ الْبَحْرِ مِثْلَ يَمِينِهِ مَا انشَقَّ حَتَّى جَاَزَ فِيهِ مُوسَى^(٣)

فقد استمد الشاعر التصوير القرآني لانشقاق البحر لموسى ليثبت صفة الجود لممدوحه، لو كان معظم البحر مثل كفه، يعني في الجود والعطاء والقوة لما انشق لموسى.

(١) الذمام: العهد وقيل جمع ذمة وهو الأمان ومنه قول النبي ﷺ: ويسعى بذمتهم أدناهم.

(٢) الجذام: برص ليس له دواء. العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٤ ص ٧٩.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٢ ص ١٩٩.

ومن القصص التي ذكرها قصة ذي القرنين الذي يمثل شخصية حظيت بإرادة حديدية إلى جانب ما زودت به من عطاء إلهي، قال تعالى: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا ﴾ [الكهف: ٨٤]، واستطاع بذلك أن يطوي الأرض حتى بلغ أرض الظلمات، وأن يبني سداً منيعاً، وقد استمد صورة السد من قصة القرنين في قوله:

كَأَنِّي دَحَوْتُ الْأَرْضَ مِنْ خِبْرَتِي بِهَا كَأَنِّي بَنَى الْإِسْكَدَرُ السَّدَّ مِنْ عَزْمِي^(١)
وقد أشار في المصراع الأول إلى كثرة تنقلاته وأسفاره التي أكسبته خبرة واسعة بالأرض ومجاهلتها، وأنه قد خبر الأرض وعرفها مثل ذي القرنين، وقد أعانه على ذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ [الكهف: ٩٧].

واستمع إلى قوله في موضع آخر:

لَوْ كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَعْمَلَ رَأْيَهُ لَمَّا أَتَى الظُّلُمَاتِ صِرْنَ شُمُوسًا^(٢)
أي له رأي سديد لو استعمله لأضاءت له الظلمات.

وأشار الشاعر إلى صنعة الدروع التي عملها الله لداود عليه السلام.

قَوَاضٍ مَوَاضٍ نَسِجُ دَاوُدَ عِنْدَهَا إِذَا وَقَعَتْ فِيهِ كَنَسِجِ الْخَدَرَنْقِ^(٣)
يقول هذه الرماح قاضية على من يقصده ماضية على من يعتمده، كنسيج العنكبوت في سرعة خرقها له ونفاذها فيه قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾ [العنكبوت: ٤١].
وقال:

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٤ ص ٥٢.

(٢) المصدر نفسه ج٢ ص ١٩٨.

(٣) المصدر نفسه ج٢ ص ٣٠٩.

والخدرنق: العنكبوت والجمع خدارق.

مَفْرَشِي صَهْوَةَ الْحَصَانِ وَلَكِنْ قَمِيصِي مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدٍ^(١)
لَأُمَةٍ فَاضَةٌ أَضَاءٌ دِلَاصٌ أَحْكَمْتُ نَسْجَهَا يَدَا دَاوُدَ^(٢)

إن المتأمل لمفردات هذين البيتين يَلْمَحُ إلحاح الشاعر على لفظ نسج حيث أوردَهُ في تركيبين إضافيين في البيت الأول نسج داود، الخدرنق وأورده في البيت الثاني إلى جانب مرادفه مسرودة مما ينم عن استيحاء الشاعر لحديث القرآن عن النبي داود عليه السلام وصنعة الدروع. وذلك لأن داود أول من عمل الدروع. قال تعالى: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ۖ إِنَّ أَعْمَلَ سَيعَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرِّ ۖ﴾ [سبأ: ١٠-١١]، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَقْنَاهُ صَنْعَةً لَبُوسٍ لَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

وقد أشار الشاعر إلى اتساع ملك سليمان عليه السلام بقوله:

مَنْ يَزُرُهُ سَلِيمَانٌ فِي الْمُدِّ كِ جَلَالاً وَيُوسُفُفَا فِي الْجَمَالِ^(٣)
أي أنه هذا الممدوح إذا زرتَه فكأنما زرت سليمان في ملكه ويوسف في جماله وبهائه فاستعار لممدوحه هذه الصورة.

كما أنه ذكر المسيح وصالحاً عليهما السلام فقال:

مَا مُقَامِي بِأَرْضٍ نَخْلَةً إِلَّا كَمُقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ
أَنَا فِي أُمَةٍ نَدَارَكُهَا اللَّهُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثَمُودِ^(٤)

(١) المفرش: موضع الفراش.

الصهوة: مقعد الفارس من ظهر الفرس.

الحصان: الفرس الفحل.

مسرودة: المنسوجة من الحديد.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج١ ص ٣١٩.

(٢) اللأمة: الملتئمة الصنعة.

الفاضة: السابغة.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج١ ص ٣٢٠.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٣ ص ١٩٥.

(٤) المصدر نفسه ج١ ص ٣١٩-٣٢٤.

لقد صوّر لنا صورة الاغتراب التي أحسّ بها الشاعر في أرض نخلة وما لحقه من أذى مثل ما أودى المسيح ابن مريم عليهما السلام، وكذلك اغتراب صالح عليه السلام بين قومه ثمود الذين عقروا الناقة.

وقد شغلت عقيدة النصارى جانباً واضحاً في الصور التي استقاها الشاعر من القرآن الكريم، ولعل الحروب المستمرة بين سيف الدولة والدولة البيزنطية قد أثارت في خيال الشاعر كثيراً من الآراء، وقد تطرق في شعره إلى عودة المسيح لبني إسرائيل، وادعاء النصرانية لبنوة المسيح لله، وحديث صلب المسيح، ومعجزات عيسى كشفاء المرضى، وإحياء الموتى.

قال مشيراً إلى ادعاء النصارى بأنّ المسيح ابن الله كما أشار إليه القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْتَصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

قال المتنبي:

أرئى المسلمين مع المشرك
وأنت مع الله في جانب
كأنك وحدك وحدته
ودان البرية بابن وأب^(١)

ضمّن الأبيات السابقة مدح سيف الدولة لوقوفه في وجه العدوان البيزنطي النصراني ووصف تقاعس غيره من المسلمين كالبويهيين والإخشيديين عجزاً ورهبةً من هذا الجهاد الذي خاضه سيف الدولة لحماية المسلمين ونصرة الدين، وكأنّ الشاعر لم يجد سبباً يُقعد هؤلاء المسلمين عن جهاد البيزنطيين، إلا أن يكونوا شركاء للنصارى في اعتقادهم وإيمانهم بعقيدة التثليث.

ثم يقول:

ويستنصران الذي يعبدان
ويدفع ما ناله عنهما
وعندهما أنه قد صلب
فيا للرجال لهذا العجب^(٢)

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج١ ص ١٠٤.

(٢) المصدر نفسه ج١ ص ١٠٣-١٠٤.

فقد سخر المتنبي من ملك الروم وقائده اللذين استنصرا المسيح، ليدفع
عنهما ما ناله من الهلاك (من قتل اليهود في زعمهم) ثم تعجب من هذا فقال:
كيف يقدر أن يدفع عنهما الهلاك، ولم يستطع دفعه عن نفسه، وقد عبر بذلك عن
رأي الإسلام في التنصاري حول نهاية المسيح الذي أوجزه القرآن الكريم بقوله
تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

واستوحى في شعره المعجزات التي منحها لعيسى عليه السلام من شفاء
المرضى وإحياء الموتى فقال:

تَيْمَمْنِي وَكَيْلِكَ مَادِحاً لِي وَأَشْدُنِي مِنَ الشُّعْرِ الْغَرِيبَا
فَأَجْرَكَ الْإِلَهَ عَلَى عَلِيلٍ بَعَثَ إِلَيَّ الْمَسِيحَ بِهِ طَبِيباً^(١)

أراد بذلك الشاعر الذي قصد المتنبي يفاخره بشعره الغث الرديء، شاعراً
ملك ناصية النظم، فحاله كمن أرسل من يداوي المسيح وهو الذي وهبه الله
القدرة على شفاء المرضى وإحياء الموتى.

وذكر قصة عزيز الذي أحياه الله لعيسى في موضعين من شعره. قال في
أحدهما:

كَفَلَ الثَّنَاءُ لَهُ بَرْدَ حَيَاتِهِ لَمَّا انْطَوَى فَكَأَنَّهُ مَشُورُ
وَكَأَنَّمَا عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ ذِكْرُهُ وَكَأَنَّ عَازَرَ شَخْصُهُ الْمَقْبُورُ^(٢)

لقد استوحى الشاعر قصة عزيز الذي تمثل فكرة البعث بعد الموت للتنبؤ
بفضائل المرثي ومكارمه التي أبقت ذكره حياً على الألسنة بعد مماته.

وقال في موضع آخر عن عازر:

أَوْ كَانَ صَادَفَ رَأْسَ عَازَرَ سَيْفُهُ فِي يَوْمٍ مَعْرَكَةٍ لِأَعْيَا عَيْسَى^(٣)

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج١ ص ١٤٥.

(٢) المصدر نفسه ج٢ ص ١٣١-١٣٢.

(٣) المصدر نفسه ج٢ ص ١٩٨.

وقال يذكر الحواريين من قصيدة أنشأها بعد هزيمة مُنيَ بها سيف الدولة بالقرب من ثغر الحدث قال:

ولو رآه حواريوهمُ لبنَوْا على محبته الشَّرْعَ الذي شرعوا^(١)

فقد تحدث الشاعر عن عدل سيف الدولة في هذه الحرب التي خاضها ضد الروم وقائدهم الدُمستق فقال: لو رأى الحواريون سيف الدولة ورأوا عدله وإنصافه، لألزموا الروم الدخول في طاعته، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤].

يُبَيِّنُ المتنبي أنَّ سيف الدولة أحقَّ بالنصر من سواه، وتطرق الشاعر إلى قصَّة الإسراء والمعراج التي التقط منها الشاعر خبر البراق وأشار إليه بقوله:

ما رآها مَكْذِبُ الرُّسُلِ إِلَّا صَدَقَ الْقَوْلُ فِي صِفَاتِ الْبُرَاقِ^(٢)

فاستعار في وصفه لفرسه صفات البراق الذي أضفت على الفرس صفات مثالية في السرعة والنشاط، ولو لم تكن كذلك لما اتخذت دليلاً على صدق المعجزات لدى المكذبين بالرسول، وقد ظهر أثر القرآن الكريم في شعر المتنبي في استمداده بعض الصور البيانية واستخدامه بعض ألفاظه كقوله:

وضاقت الأرض حتى كان هاربهم إذا رأى غير شيء ظنَّه رجلاً^(٣)

فقد استعار الفعل (ضاقت) للأرض مُستوحياً ذلك من قوله تعالى حين وصف المسلمين في حنين حين استبد بهم الخوف.

قال تعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٢ ص ٢٢٥.

(٢) المصدر نفسه ج٢ ص ٣٦٦.

(٣) المصدر نفسه ج٢ ص ١٦٨.

وقد قدم في الشطر الثاني صورة الوهم الذي واجه هؤلاء الفارّين حتى ليعود لهم مطارداً في كل مكان، وبذلك أكثر الاستعمال المجازي للفعل (ضاق) كما ورد في القرآن الكريم.

ومن ذلك أيضاً قوله في مدح كافور:

وبأيامِهِ التي انسلَخَتْ عَنْهُ وما دارُهُ سِوَى الهَيْجَاءِ^(١)
تعمد الشاعر الاستعمال المجازي للفعل (انسلخ) في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا
انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَأَيُّهُ لَهُمْ أَلِيلٌ
نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧].
وقال أيضاً:

أَقْرَّ جِلْدِي بِهَا عَلَيَّ فَلَا أَقْدِرُ حَتَّى الْمَمَاتِ أَجْحَدُهَا^(٢)
حيث استعار للجلد الفعل أقر، كما استعيرت الشهادة للجلود في القرآن
الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١].
أي إن جلدهم يعترف بنعم الممدوح، كما تعترف الجلود يوم القيامة
بالذنوب، أو تقر بما اقترفوه من آثام.
وقد يستلهم المتنبي بعض الأبيات مستفيداً من الإيحاء الذي تمنحه بعض
الفاظها نحو قوله:

تُبَارِي نُجُومَ الْقَذْفِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ نَجُومٌ لَهُ مِنْهُنَّ وَرَدٌ وَأَذْهُمُ^(٣)
نلمح في هذا البيت من الشعر أثر قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِرَبِّنَا
الْكُوكِبِ ۖ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ۖ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْأَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۖ
دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصافات: ٦-٩].

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج١ ص ٣٣.

(٢) المصدر نفسه ج١ ص ٣١٢.

(٣) المصدر نفسه ج٣ ص ٣٥٣.

فقد شبه الخيل في سرعتها وقطعها الأرض بالنجوم، ولكن إضافة القذف حمل الصورة سمات أخرى تضاف إلى القوة المعهودة في خيل الحرب، مثل الانقضاض على الأعداء، وتطهير الأرض من جيوشهم التي تعبت فيها فساداً، كما تفعل النجوم بالشياطين إذ تقصيههم بعيداً عن السماء.

وقد أسهم اللفظ الذي استمده من القرآن الكريم في إعطاء صورة الخيل في المعركة عنصر الحركة والإيجابية في القتال، وفي مقام الرثاء أراد المتنبي أن يسبغ على المرثي صفات خاصة فاستعار من القرآن الكريم وصف الجنة التي وعد بها الصالحون وما فيها من حور عین نحو قوله تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۖ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُوءِ اللَّمَّكُونِ﴾ [الواقعة: ٢٢-٢٣].

وقدم البيت لفظ الحور الذي ارتبط بحسن الجزاء في الجنة فقال:
يُبْكِي عَلَيْهِ وَمَا اسْتَقَرَّ قَرَارُهُ فِي اللَّحْدِ حَتَّى صَافَحَتْهُ الْحُورُ^(١)
ومن ذلك قوله:

إِلَى سَيِّدٍ لَوْ بَشَّرَ اللَّهُ أُمَّةً بَغَيْرِ نَبِيٍّ بَشَرْنَا بِهِ الرُّسُلُ^(٢)
لارتباط التبشير في القرآن بذكر الأنبياء في نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فاطر: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقد يقتبس الشاعر بعض الصور القرآنية نحو قوله:
يَرَى حِدَهُ غَامِضَاتِ الْقُلُوبِ إِذَا كُنْتُ فِي هَبْوةٍ لَا أَرَانِي^(٣)
فقد وصف تكاثف الغبار في المعركة، مستنيراً بالتصوير القرآني للظلمة الحالكة التي تحول دون رؤية المرء ليد الممتدة أمام ناظريه في قوله تعالى: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُمُ لَمْ يَكْدِرْهَا﴾ [النور: ٤٠].

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٢ ص ١٣٢.

(٢) المصدر نفسه ج٣ ص ١٨٥.

(٣) المصدر نفسه ج٤ ص ١٩١. الهبة: الغبرة.

وقد استمد هذه الصورة ليؤكد ما وصف به سيفه من إصابة الهدف التي عبر عنها في استعارة (يرى) للسيف .

وقد يستمد بعض المعاني القرآنية فيقدها في صورة جديدة، فعندما شبه القرآن أناساً لم ينتفعوا بما ميزهم الخالق بأنهم كالأنعام في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] .

استمد التشبيه القرآني ومثل له معتمداً على الاستخدام اللغوي لأسماء الاستفهام للعاقل وغير العاقل لقول الشاعر:

حَوَلِي بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمْ خَلْقٌ تُخْطِي إِذَا جِئْتَ فِي اسْتِفْهَامِهَا بِمَنْ^(١)
أي حولي من هؤلاء الناس جماعة كالبهائم فإذا قلت مَنْ أنتم؟ أخطأت في القول لأنك خاطبت ما لا يعقل بما يخاطب به من يعقل، بل إذا أردت أن تقول لهم من أنتم؟ فقل: ما أنتم؟

ومن دلائل تأثره بالقرآن الكريم قوله:

دَعْوَتِكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ وَالْمَوْتُ مِنِّي كَجَبْلِ الْوَرِيدِ^(٢)
حيث اقتبس من الآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] .

واستلهامه معاني بعض الآيات القرآنية يحمله على الاحتفاظ ببعض ألفاظها أحياناً كما في قوله:

وَجُرِمَ جَرَّةً سَفَهَاءُ قَوْمٍ وَحَلَّ بِغَيْرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ^(٣)
يبدو من أثر قوله تعالى: ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ [الأعراف: ١٥٥]، أو من قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] .

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٤ ص ٢١٠ .

(٢) المصدر نفسه ج١ ص ٣٤٦ .

(٣) المصدر نفسه ج١ ص ٨١ .

الفقه عند المتنبي

يعد الفقه من آثار الثقافة الدينية التي ظهرت في شعر أبي الطيب، حيث اتخذ الشاعر من شعره معرضاً لبعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالحدود والموارث وغيرها من الأحكام.

ومن أوائل شعره الذي ظهر فيه هذا الأثر الفقهي قصيدته التي نظمها في سجنه ومطلعها:

أَيَا خَدَّدَ اللَّهُ وَزَدَ الْخُدُودِ وَقَدْ قُدُودَ الْحِسَانِ الْقُدُودِ^(١)

وقد حاول الشاعر في هذه القصيدة تبرئة نفسه مما اتهم به فاستعان ببعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالحدود، ومما عرض له السن الذي فيها يجب إيقاع الحد على مرتكب الإثم قال:

تَعَجَّلْ فِيَّ وَجُوبُ الْحُدُودِ وَحَدِّي قَبْلَ وَجُوبِ السُّجُودِ^(٢)

فقد أشار الشاعر إلى أنه لم يصل إلى سن البلوغ الذي يجب عليه الحد إذ ما يزان دون سن السجود، وقد كان ذلك محاولة لنفي التهمة التي لصقت به بتصغير نفسه أمام الحاكم.

واستطرد إلى التفريق بين إرادة الفعل، والفعل نفسه، إذ لا يعاقب الناوي فعل الحرام حتى يرتكب الإثم بالوقوع فيه، وذلك في قوله:

وَكُنْ فَارِقاً بَيْنَ دَعْوَى أَرَدْتُ وَدَعْوَى فَعَلْتُ بِشَأْوِ بَعِيدِ^(٣)

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج١ ص ٣٤١.

(٢) المصدر نفسه ج١ ص ٣٤٦.

(٣) المصدر نفسه ج١ ص ٣٤٧.

ثم تعرض للشروط التي يجب توافرها في الشهادة حتى يعتمدها أولو الأمر فقال:

فَمَا لَكَ تَقْبَلُ زُورَ الْكَلَامِ وَقَدْرُ الشَّهَادَةِ قَدْرُ الشُّهُودِ
فَلَا تَسْمَعَنَّ مِنَ الْكَاشِحِينَ وَلَا تَغْبَأَنَّ بِمَخْكِ الْيَهُودِ^(١)

أشار بذلك إلى بطلان الحكم عليه بالسجن إذ إن من شهد ضده لم تتوافر فيه شروط الشاهد العدل، والطعن بالشهود ردّ للتهمة من أساسها واجتثاث لها من الجذور، وإذا كان الشهود أكثر من كذابين فماذا يبقى للشهادة من قيمة؟ وفي هذا الاتجاه لا يزال المنطق قائماً على الفقه، ولكنه يأخذ حيثة أخرى، وهي حيثة الطعن بالشهود وتجريدهم من صفة العدالة ومن الواجب فقهاً أن يكون الشاهد عادلاً، قال تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكَ كُفْرَاسِقٌ يُنَبِّئُكَ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

ويطلب الشاعر من الحاكم ألا يسمع لهؤلاء الذين يضمرون العداوة (الكاشحين) ويقصد بذلك العلويين الفاطميين^(٢) ويزعمون وما أظن ذلك إلا صحيحاً أن جدّهم كان يهودياً وأسلم ليدخل على الإسلام العقائد الفاسدة.

وقد تكون شخصية الممدوح واتصالها ببيئة الفقهاء والقضاء دافعاً يقود الشاعر إلى إضفاء مسحة فقهية على صوره وألفاظه نلمح ذلك في قصيدة مدح بها القاضي الأنطاكي، قال فيها:

أَلْقَى الْكَرَامُ الْأُولَى بَادُوا مَكَارِمَهُمْ عَلَى الْخَصِيْبِيِّ عِنْدَ الْفَرْضِ وَالسُّنَنِ
فَهْنٌ فِي الْحَجَرِ مِنْهُ كَلَّمَا عَرَضَتْ لَهُ الْيَتَامَى بِدَا بِالْمَجْدِ وَالْمِنَّ^(٣)

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج١ ص ٣٤٧.

(٢) محمود شاكر: المتنبي ج١ ص ١٠٨.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٤ ص ٢١٤.

أي أنَّ الكرام الذين هلكوا ورثوه مكارمهم فهو يستعملها عندما يلزمه من الفريضة والسنَّة أي هي تحت تصرفه، يتكفل أمرها، شأنها في ذلك شأن من يتولَّى أمرهم من اليتامى، وقد قادته شخصية القاضي الذي يمدحه إلى جعل المكارم في صورة الأيتام بإيقاعها تحت الحجر، وكانت هذه الصورة وراء ذكره في البيت الأول ليمهد لذكر اليتامى في البيت الثاني.

وهكذا جمع المتنبي في البيتين بعض الألفاظ التي اتصلت ببيئة الفقهاء «الفرض، السنن، اليتامى، الحجر».

وترى ذلك في مدحه القاضي أبي الفرج أحمد بن الحسين المالكي حيث قال:

أقاضينا هذا الذي أنْتَ أهْلُهُ غَلِطْتُ ولا الثُّلثان هذا ولا التَّصْفُ
وذنبِي تقصيري وما جِئْتُ مادِحاً بذَنْبِي ولكنْ جِئْتُ أسألُ أنْ تَغْفُو^(١)

فقد استمدَّ الشاعر بعض الألفاظ التي ترد في أحكام المواريث كما أضفى على البيت قالب الحسابي أو العددي، ومثل هذه الألفاظ المتعلقة بقوانين الميراث والوقف قوله في مدح محمد بن زريق الطرطوسي:

لَوْ جَادَتِ الدُّنْيَا فَدَثْلَكَ بأهلِها أو جَاهَدَتْ كُتِبَتْ عَلَيْكَ حَيْساً^(٢)
والحَيْس: المحبوس وهو الوقف الذي لا يباع ولا يوهب.

أي لو كانت الدنيا ذات جود لأبقت عليك وفدتك بمن فيها، ولو كانت غازية مجاهدة في سبيل الله لجعلت نفسها محبوساً عليك، فكانت لا تغزو إلا لك وعنك وبأمرك.

وقد تكون هذه الإشارات الفقهية وليدة السياق الذي وردت فيه من ذلك قوله:

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ ٢ ص ٢٩١.

(٢) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢٠٢.

كَأَنَّ سَخَاءَ الْإِسْلَامِ تَخْشَى إِذَا مَا حُلَّتْ عَاقِبَةُ ارْتِدَادٍ^(١)

فقد جعل سخاء ممدوحه بمنزلة اعتقاده دين الإسلام، فيقول: أَنْتَ تدين بالسخاء وتعتقده كما تدين بالإسلام وتعد تحوُّلك عنه كأنه الردة فتخاف هذا التحول كما تخاف الردة عقابها القتل ودخول النار، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ...﴾ [المائدة: ٥٤].

وقد جعل العطاء والقتال فريضة حيث يقول:

وَيَدُّ كَأَنَّ قِتَالَهَا وَنَوَالَهَا فَرَضٌ يَحِقُّ عَلَيْكَ وَهُوَ تَبَرُّعٌ^(٢)

فقد مدح فاتكاً بالتزامه النوال والقتال كأنه أمام فرائض وجب عليه أداؤها على الرغم من كونها في الحقيقة نوافل.

وتلوح سمة الفقه على البيت في ألفاظه المنتقاة من الفقه والتي هي «الفرض التبرع».

ومن أقواله التي يبدو فيها الأثر الفقهي واضحاً قوله:

وَزَارَكَ بِي دُونَ الْمَلُوكِ تَحَرُّجِي إِذَا عَنَّ بَحْرٌ لَمْ يَجْزُ لِي التَّيْمُ^(٣)

لم يبح الشاعر لنفسه أن يتوجه بشعره إلى غير ممدوحه إذ لا أحد يغني عنه وهل يجوز لمن أراد الطهارة أن يتيمم والماء موجود.

وقد استخدم الشاعر هذا الحكم في التمثيل على التي ذكرها في الشطر الأول مما زادها إبانة ووضوحاً، ويظهر أثر الفقه أيضاً في الغزل حيث قال:

قَفِي تَغْرَمِ الْأَوَّلَى مِنَ اللَّحْظِ مُهْجَتِي بِشَانِيَةِ الْمُتَلِفِ الشَّيْءِ غَارِمُهُ^(٤)

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج١ ص ٣٥٩.

(٢) المصدر نفسه ج٢ ص ٢٧٣.

(٣) المصدر نفسه ج٤ ص ٩١.

(٤) المصدر نفسه ج٣ ص ٣٣٠.

لقد تمنى الشاعر أن تُعيدَ الحبيبة النظر إليه إذ إنَّها أضاعت مهجته بنظراتها الأولى، فوجب عليه ردّها إذ إنَّ من أثْلَفَ شيئاً وجب عليه غرامته كما يقول الفقهاء، وقد صاغ الشاعر بيته صياغة عقلية مستعيراً الحكم الفقهي (المتلف لشيء غارمه).

وقد أَسْتَمَدَ بعض الأحكام الفقهية وأوردها في صورة على غير ما وردت عليه في الأصل، نحو قوله في وصف الحمى:

وزائرتي كأنَّ بها حياءَ فليس تزورُ إلا في الظلامِ
بذلتُ لها المطارفَ والحشايا فعافتها وباتت في عظامي
يضيقُ الجلدُ عن نفسي وعنّها فتوسّعهُ بأنواع السّقام
إذا ما فارقتني غسّلتني كأنّا عاكفانِ على حرام^(١)

فالإشارة الفقهية في البيت الرابع وليدة السياق، فقد بدأ الشاعر حديثه عن الحمى، بجعلها زائرة له في الظلام إلى آخر ما ورد في الأبيات التي تلت ومن ثم فقد جعل العرق الذي أصاب جسده المحموم بمثابة الغسل والطهارة التي يستوجبها الجماع، وقد عاب النقاد قوله «حرام» اعتراضاً منهم على استخدام المأثور الفقهي على غير وجهه الصحيح، فقال الحاتمي: «الحلال أولى بالغسل وأخص من الحرام فكيف خصصت الحرام بوصف يشركه منه غيره، وله به اختصاص فوق اختصاصه؟».

وقد نقل الحاتمي دفاع المتنبي «أثيتُ بأحدها فدل على الآخرة، وإن لم أذكره»^(٢)، وفي القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلْ لَكُم سُرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، وهي تقي من البرد أيضاً.

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٤ ص١٤٦.

(٢) هدى الأرنؤوطي: ثقافة المتنبي ص١٨٩.

أما ابن الشجري فقد ذكر^(١): «أنه خصَّ الحرام لأنه جعلها زائرة غريبة ولم يجعلها زوجة ولا مملوكة» وهذا التعليل صحيح، إذ يناسب الصورة التي أرادها الشاعر للحمى في الأبيات السابقة ويوحى بما يعقب زيارتها من آلام وأوجاع.

وقد يكون استمداده لبعض الإشارات الفقهية معبراً عن إدراكه لاختلافات الفقهاء في بعض الأحكام حيث قال:

أَرَادَتْ كَلَابٌ أَنْ تَقُومَ بِدَوْلَةٍ لَمَنْ تَرَكَتْ رَغْيَ الشَّوْبِهَاَتِ وَالْإِبْلِ^(٢)
أَبَى رَبُّهَا أَنْ يَتْرَكَ الْوَحْشَ وَحْدَهَا وَأَنْ يُؤْمِنَ الضَّبُّ الْخَبِيثَ مِنَ الْأَكْلِ
يمكن القول إطلاق صفة الخبيث على الضَّبِّ، إيماء إلى اختلاف الفقهاء في أكله واستناد كل طائفة على ما روي في الأثر من إباحته وتحريمه.

* * *

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٤ ص ١٤٦.

(٢) المصدر نفسه ج٣ ص ٢٩٥.

التصوف الإسلامي

عاصر أبو الطيب المتنبي فترة مزدهرة من تاريخ التصوف الإسلامي في أوائل القرن الرابع الهجري، حيث أنتشرت الصوفية في أنحاء العالم الإسلامي، وأنظموا طوائف وجماعات، وأصبح لهم مريدون وأنصار، وأستطاع كثير منهم التعبير عن تأملاتهم ومواجيدهم في أشعارهم التي تعدّ من دواعي ازدهار التصوف.

لقد كان للتصوف أثرٌ كبيرٌ في شعر أبي الطيب المتنبي، ومن يقرأ ديوان الشاعر يجده يستوعب حيزاً واسعاً من خواطره وأفكاره.

ولعل الصوفية من أبرز الجماعات التي تحدث المؤرخون والنقاد عن أثرها في شعر أبي الطيب، يقول ابن جني^(١): «وكثيراً ما يسلك المتنبي طريقة المتصوفة» أمّا الثعالبي فقد خصص فصلاً في يتيمة الدهر عن امتثال الشاعر لأساليب المتصوفة.

يقول شوقي ضيف^(٢): «إنّ المتنبي حين عدل بشعره إلى العبارة الصوفية كان قد أسلم هذا الشعر إلى صعوبات في التركيب».

لقد عدّ النقاد أثر التصوف في شعر المتنبي من العيوب التي رأوا فيها خروجاً على عمود الشعر، وتقاليد الموروثة.

اقرأ هذه الأبيات التي يقولها في ممدوحه:

جَيْبٌ هَذَا بَقِيَّةُ الْأَبْدَالِ	ذَا السَّراجُ الْمَنِيرُ هَذَا النَّقِيُّ الـ
مُذْنُ تَأْمَنُ بِوَائِقِ الرُّلْزَالِ	فَحُذَا مَاءَ رِجْلِهِ وَأَنْضَحَا فِي الـ
نُكْمَا تُشْفِيَا مِنَ الْأَغْلَالِ ^(٣)	وَأَمْسَحَا ثَوْبَهُ الْبَقِيرَ عَلَى دَا

(١) هدى الأرنؤوط: ثقافة المتنبي في شعره ص ٧٤.

(٢) محمد عبد الرحمن شعيب: المتنبي بين ناقديه ص ٢٩٧.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ٣ ص ١٩٦-١٩٧.

عند قراءة هذه الأبيات تحس بأنك إزاء شاعرٍ صوفي يصوغ معانيه صياغة صوفية، أليس يمدح صاحبه كما يمدح الصوفية أقطابهم فيجعله بقية الأبدال؟

يقول العكبري: «الأبدال سُموا أبدالاً لأنهم أبدال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، في إجابة دعواتهم ونصحهم للخلق، وقيل إذا مات أحدهم أبدال الله مكانه آخر، فهم لا ينقضون حتى تقوم الساعة ويقال هم أربعون رجلاً في أقطار الأرض».

يقول شوقي ضيف: «ليس كل ما في هذه الأبيات من أثر التصوف هو أنه استعار لفظة الأبدال من الصوفية، بل إننا نراه يتحدث عن ممدوحه كأنه يتحدث عن رجل مبارك من رجالهم، وإلا فما هذا الماء الذي يمنع الزلزال ويشفي الأعلال؟ والحق أن المتنبي كان ينزع بشعره منزعاً صوفياً يحاول أن يجدد في فنه ولكنه تجديد غريب»^(١).

أما هدى الأرنؤوطي^(٢) فإنها تقول: «لقد جعل ممدوحه في مقام القدسية والتقرب إلى الخالق، وجعل آيته إتيانه المكرمات، ومن الكرامات التي أضفاها عليه بركته التي تمنع الخراب والدمار الذي يحدثه الزلزال في المدن، ومعالجته المرضى بمس ثوبه الطاهر المبارك».

وعلى هذا النمط من الفكر الصوفي يذكر الخضر في قوله:

إذا ما ذكّرنا جُودَهُ كَانَ حَاضِراً نَأَى أَوْ دَنَا يَسْعَى عَلَى قَدَمِ الْخَضِرِ^(٣)
أي شبه الممدوح بالخضر، ويقال: إنَّ الخضر لا يذكر في موضع إلا حضر والخضر عند الصوفية حيّ يرزق^(٤)، ويتميز بالكرامات وخوارق العادات، استمع إلى هذا البيت من قصيدة مدح بها بدر بن عمار:

(١) شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر الحديث ص ٣١٤.

(٢) هدى الأرنؤوطي: ثقافة المتنبي ص ١٩٧.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ٢ ص ١٣٧.

(٤) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٣٧.

تَجَلَّى لَنَا فَأَضْأَنَا بِهِ كَأَنَّا نُجُومٌ لَقِينَا سُعُوداً^(١)
فالشاعر يتصنع فكرة التجلي التي يؤمن بها الصوفية، وهكذا نرى أنَّ المتنبي
يستعمل كثيراً من اصطلاحات القوم وألفاظهم.

استمع إلى الشاعر في هذين البيتين وهو يستعير اصطلاح «الحال» .
وحالات الزمانِ عَلَيْكَ شَتَّى وحالكِ واحدٌ في كلِّ حال^(٢)
وقوله :

ولكنْ تفوقُ الناسَ رأياً وحكمةً كما فُتَّهَهُمْ حالاً ونفساً ومَحْتَدًا^(٣)
والحال عند الصوفية : معنى يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب من
طرب أو حزن^(٤).

أما اصطلاح «الخواطر» فهو في مثل قوله :
عليهم بأسرارِ الدياناتِ واللُّغَى له خَطَرَاتٌ تَفْضَحُ النَّاسَ والكُتُبَا^(٥)
واصطلاح الباطن والظاهر (الحجاب) في قوله :

مَنْ كَانَ ضَوْءُ جَبِينِهِ وَنَوَالُهُ لَمْ يُحْجَبَا لَمْ يَخْتَجِبْ عَنْ نَاطِرٍ
فَإِذَا احْتَجَبَتْ فَأَنْتَ غَيْرُ مُحَجَّبٍ وَإِذَا بَطُنْتَ فَأَنْتَ عَبْنُ الظَّاهِرِ^(٦)
قال الشاعر هذين البيتين حين حجه بدر بن عمار، فذكر أن صورة بدر
وعطاءه انطبعا في قلبه، حتى لا يحول الحجاب دون رؤيته لها، ولعل هذه الفكرة
ذكرته بصورة الحجاب عند الصوفية، ويذكر اصطلاح الحضور والغيبة فيقول :

(١) العكبري : التبيان في شرح الديوان ج١ ص ٣٦٦ .

(٢) المصدر نفسه ج٣ ص ٢٠ .

(٣) المصدر نفسه ج١ ص ٢٨٩ .

(٤) هدى الأرنؤوطي : ثقافة المتنبي ص ١٨٠ .

(٥) العكبري : التبيان في شرح الديوان ج١ ص ٦٢ .

(٦) المصدر نفسه ج٢ ص ١٣٨ .

فَدَتَكَ نَفُوسُ الْحَاسِدِينَ فَإِنَّهَا مُعَذِّبَةٌ فِي حَضْرَةٍ وَمَغِيبٌ^(١)
وبذكر اصطلاح «الزمان» في مثل قوله:

نَحْنُ مَنْ ضَايَقَ الزَّمَانُ لَهُ فَيْدُكَ وَخَانَتْهُ قُرْبَكَ الْإِيَّامُ^(٢)
أما «الوقت» فهو من المفردات التي تكررت في شعر المتنبي كقوله:
قَدْ اسْتَرَاخَتْ إِلَى وَفْتِ رِقَابِهِمْ مِنْ السَّيُوفِ وَبَاقِي الْقَوْمِ يَنْتَظِرُ^(٣)
ومثل قوله:

فَتَى يَشْتَهِي طَوْلَ الْبِلَادِ وَوَقْتَهُ تَضَيُّقُ بِهِ أَوْقَاتُهُ وَالْمَقَاصِدُ^(٤)
وقد استمد المتنبي من القرآن الكريم إحدى الآيات التي اعتمد عليها الصوفية
في مبحثهم عن القرب في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]،
فقال:
دَعْوَتِكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ وَالْمَوْتُ مِنِّي كَحَبْلِ الْوَرِيدِ^(٥)

* * *

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج١ ص ٥٦.

(٢) المصدر نفسه ج٣ ص ٣٤٣.

(٣) المصدر نفسه ج٢ ص ٩٨.

(٤) المصدر نفسه ج١ ص ٢٧٥.

(٥) المصدر نفسه ج١ ص ٣٤٦.

شعر الجهاد

الجهاد هو: بذل الوسع في القتال في سبيل الله مباشرة أو معاونة بمال أو رأي أو تكثير سواد أو غير ذلك، فالقتال لإعلاء كلمة الله هو الجهاد، أما الجهاد بالرأي في سبيل الله فهو إن كان رأياً يتعلق مباشرة بالقتال في سبيل الله فهو جهاد وإن كان لا يتعلق مباشرة فليس جهاداً شرعاً، ولو كانت فيه مشقات، ولو ترتبت عليه فوائد لإعلاء كلمة الله، لأن الجهاد شرعاً خاص بالقتال ويدخل فيه كل ما يتعلق مباشرة بالقتال، ومثل الرأي الكتابة والخطابة إن كانت متعلقة مباشرة بالقتال كخطبة في الجيش لتحمسه لياشر القتال، أو مقال تحريضي لقتال أو قصيدة تلهب النفوس لقتال الأعداء فهو جهاد وإلا فلا. وعلى ذلك فلا يطلق على الكفاح السياسي جهاد، ولا على مقارنة الحكام المسلمين الظالمين جهاد وإن كان ثوابه كبيراً، وفوائده للمسلمين عظيمة، فالمسألة ليست بالمشقة ولا بالفائدة، وإنما هي بالمعنى الشرعي الذي وردت فيه هذه الكلمة، والمعنى الشرعي هو القتال وكل ما يتعلق به من رأي وخطابة وشعر وكتابة ومكيدة وغير ذلك وسبب الجهاد ليس الجزية وإن كنا نكف عنهم عند قبول الجزية وإنما سبب الجهاد هو كون الذين نقاتلهم كفاراً امتنعوا عن قبول الدعوة، قال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، أي قاتلوهم لأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر.

وقد جاء في آية أخرى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ [النساء: ٧٦]، وقال: ﴿فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٢]، وقال: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]، وهذه الآيات كلها أمر بالقتال لوصف معين هو سبب القتال وهو الكفر.

والجهاد فرض بنص القرآن والحديث قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وقال أيضاً: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها»، وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»، وقال أيضاً: «الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة»، وعن زيد بن خالد قال: قال رسول الله ﷺ: «من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا».

والجهاد فرض كفاية ابتداءً، وفرض عين إذا هجم العدو على من هاجمهم وفرض كفاية على غيرهم، ولا يسقط الفرض حتى يطرد العدو وتظهر أرض الإسلام من رجسه، ومعنى كون الجهاد فرض كفاية ابتداءً هو أن نبداً بقتال العدو وإن لم يبدأنا، وإن لم يقم بالقتال ابتداءً أحد من المسلمين في زمن ما أثم الكل بتركه والقتال ابتداءً إذا قام به أهل مصر سقط عن أهل أندونيسيا إذ قد وجد فعلاً قتال من المسلمين للكفار المحاربين فحصل فرض الجهاد، أما إذا نشب القتال بين الكفار والمسلمين ولم تحصل الكفاية بقتال الكفار من قبل أهل مصر وحدهم فلا تسقط فرضيته عن أهل الباكستان وأندونيسيا بقيام أهل مصر والعراق بل يفرض على الأقرب فالأقرب من العدو وإلى أن تحصل الكفاية فلو لم تحصل الكفاية إلا بكل المسلمين صار الجهاد فرضاً على كل المسلمين حتى يقهر العدو.

والجهاد عمل جماعي ولا يتأتى إلا أن يكون جماعياً، لأن عمل الجهاد لا يمكن أن يقوم به فرد، فهو قتال للكفار جميعاً لإخراجهم من الظلمات إلى النور، ولذلك فإن الجهاد من المسؤوليات الملقاة على عاتق الأمة جميعها، والتقصير فيه يعرض الأمة جميعها للهلاك، قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمُ إِلَى الْهَلَكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، والجهاد هو مبادأة العدو بالقتال وإنه من أجل تحطيم الحواجز المادية التي تقف في طريق الدعوة الإسلامية للوصول إلى الناس ليخرجهم من الظلمات إلى النور.

يرى بعض الناس ممن يدعون العلم أن الجهاد ليس مبادأة العدو بالقتال، بل هو للدفاع فقط، ويرى فريق آخر ممن يتظاهر بالإسلام بأن الفتوحات الإسلامية كان غرضها الاستعمار.

ولإزالة الشبهة نقول للذين يزعمون أن الجهاد استعمار نقول لهم: إنكم قسم الفتوحات الإسلامية على الفتوحات الاستعمارية، وأنكم لم تستنبروا بنور الإسلام لتفرقوا بين النور والظلام.

وأما الفريق الذي قال بأن الجهاد دفاع أي ليس مبادأة العدو بالقتال فقد استدل على رأيه بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَقْسِدُوا إِيَّاهُ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

ويبدو أن من يقول بهذا الرأي متأثر بتشويش المستشرقين على الإسلام وخاصة موضوع الجهاد بالذات لأن الغرب كان يهجم على جانب إضعاف العقيدة في نفوس المسلمين إظهار أن الجهاد وحشية وهمجية.

ولإظهار الحقيقة نقول: إن أدلة الجهاد عامة ومطلقة وتشمل الحرب الدفاعية، ومبادأة العدو بالقتال، والحرب المحدودة والحرب الوقائية وغير ذلك، فهي تشمل كل أنواع القتال للعدو لعمومها أو إطلاقها فتخصيصها بالحرب الدفاعية أو تقييدها بأن تكون حرباً دفاعية لا هجومية يحتاج إلى نص يخصصها أو إلى نص يقيدها، ولم يرد أي نص يدل على ذلك لا من الكتاب ولا من السنة، لذلك تبقى على عمومها تشمل كل حرب من الحروب وكل قتال للعدو ولنأخذ آيات الجهاد التي وردت في سورة التوبة لأن سورة التوبة من آخر ما نزل حتى لا يبقى مجال لادعاء التخصيص أو التقييد أو النسخ، قال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وقال أيضاً: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

من هذا التعريف للجهاد علينا أن نثبت أن الشاعر المتنبي قد اشترك في الجهاد والذي يثبت ذلك ما قاله من شعر فالإي ديوان المتنبي لتعرف على شعر الجهاد عند الشاعر .

جاهد المتنبي في سبيل الله إذ اشترك في المعارك التي خاضها سيف الدولة منذ عام ٣٣٩هـ - ٣٤٥هـ وجاهد بلسانه حيث قال الشعر محرضاً المسلمين على القتال في سبيل الله .

إن قصائد المتنبي الجهادية العديدة التي قالها خاصة في سيف الدولة تلح على الجهاد وعلى الجانب الديني، فالمعارك بين معسكرين، معسكر الإيمان يقوده ممدوحه وأنصاره ومساعدوه وحلفاؤه، ومعسكر الكفر يقوده الدمستق باسم ملكهم مع حلفائهم من بلغار وروس .

إن الصفة البارزة للمعسكر الأول أنه مسلمٌ موحد، يَرْضَى عنه الله لأنه حربه الذي ينصر دينه، ويؤمن حججه ويقطع دابر أعدائه، والصفة البارزة للمعسكر الثاني أنه كافر مشرك وبالجملة نصراني يؤمن بعقيدة التثليث .

في هذه الجهاديات تكرر ملح على الجانب الديني في الحرب فيما يكاد يذكر الروم حتى يلحقهم بدينهم وما يكاد يذكر الحمدانيين حتى يطيل الكلام في إسلامهم ويتردد ذكر المقدسات الدينية كمنابر المسلمين وحجيجهم وصلبان النصاري وأديرتهم .

لذلك يتحدث الباحثون عن شعر أبي الطيب الذي قاله في الجهاد - في حرب سيف الدولة مع الروم - .

والحق أن المتنبي إنما برز في شعر الجهاد - الحرب - لذلك نعته النقاد بأنه قائد عسكري^(١) وجعله شفيق جبري^(٢) وصاف معارك . ولا غرابة في ذلك فالمتنبي

(١) مصطفى الشكعة: مملكة سيف الدولة ودولة الأفلح ص ٢٠٧ .

(٢) سهيل عثمان، منير كنعان: المحصول الفكري عند المتنبي ص ٣١٠ .

برز في هذا النوع من الشعر - شعر الحرب - منذ يفاعته، ولم يتوقف عن ذكر الحرب حتى آخر حياته، والذي دعا الشاعر إلى ذكر الحرب الأوضاع السياسية والعسكرية التي كانت سائدة، حيث كانت البلاد في اضطراب والأمصار في تطاحن.

لقد وُلد شاعرنا وقعقة الأعنة، وصهيل الخيول، وغمار الوقائع، وصليل السيوف يصدع الآذان، ويملاً الآفاق، والجيوش تتحرك في كل مكان ولا مَجْد إلا للمقاتلين.

لقد كانت الحروب البيزنطية العربية مُنبِعاً خصيباً للشعراء الذين عاصروا هذه الحرب أمثال أبي تمام والبحري، فقد مَجَّد هؤلاء المأمون والمعتصم وقادتهما، ولكن أعظم الشعراء المتغنين بالحرب البيزنطية العربية دون منازع هو أبو الطيب المتنبي، الذي بكبريائه الفطرية، وحبّه المفرط للمجد كان مؤهلاً كل التأهيل لأن يغدو الشاعر الذي يصطفيه لأمجاده، أمير ماجد شغله الشاغل الجهاد، فخلال السنوات ٣٣٩-٣٤٥هـ كان المتنبي رفيق سيف الدولة في غاراته الكثيرة، فالمعارك التي خاضها الأمير سيف الدولة، ودارت رحاها في آسيا الصغرى وسوريا وبلاد ما بين النهرين، وبسالة سيف الدولة وجراته أوحى للشاعر بالعديد من قصائده.

إنّ أبا الطيب قد تَفَوَّقَ على أقرانه في هذا الضرب من الشعر، أو وصف الجهاد بين المسلمين والروم، لأنه شاعر يصدر عن وعي، وعن صحة للموضوع الذي ينشد فيه، فلقد اختبر بنفسه هول الحرب ومرارة الصراع، وخاض غمار القتال مع المقاتلين فنقل تجربته شعراً.

لقد كان الشاعر مُبدِعاً في تصوير الأحداث الحربية ومن أبرز سِمات إبداعه الفَهم التّام لحقائق الحياة التي عاشها وتوغل فيها، وكان نجاحه في الربط بين المعرفة الحقيقية لآمال أمته، وما أوتي من قوة المشاعر عاملاً أساسياً في إبداعه.

لقد وقف أبو الطيب مع مآثر الأفراد الذين عايشهم وبطولاتهم، وتفوق في تصوير مآثرهم «فكان لسانه إذا خاض في وصف معركة أمضى من نصالها،

وأشجع من أبطالها وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها، حتى تظن الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلوا، كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ما أدى عيانه»^(١).

لقد اختلف المتنبي عن أقرانه في وصف المعارك، فلا أبو تمام ولا البحتري ولا غيرهما من كبار شعراء العباسيين يبلغون شأوه في هذا الميدان، لأن هؤلاء لم يفرغوا لهذا الفن كما فرغ، ولم يقفوا عليه أكثر جهدهم كما وقف عليه أكثر جهده، ثم هم لم يشتركوا في الجهاد كما اشترك فيه، ولم يشهدوا مواقع الحرب كما شهدوا، ولم ينعموا كما نعم، ولم يشقوا كما شقي، فهم كانوا يقولون الشعر في وصف الجهاد مع الأعداء متأثرين بفنهم وحده، ولكنه كان يقول متأثراً بما يرى قبل كل شيء، لذلك فإنك إذا قرأت وصف المتنبي لهذا الجهاد وجدت فيه نارا تضطرم ولا تكاد تمس قلبك حتى تشيع فيه، وإذا قلبك يضطرم أيضاً حماسة ونشاطاً^(٢).

لقد أدرك المسلمون أن الحرب تعني كسر كل الحواجز التي تقف في وجه الدعوة الإسلامية ومن ثم التقدم في بلاد الأعداء لفتحها ورفع راية الإسلام فوقها، وقد تكون الحرب دفاعية لرد العدوان، وقد أكد هذه الحقيقة الدين الإسلامي يوم نادى بالمسلمين، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعَدَّكُمْ عَلَيْهِمْ فَأَعَدُّوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

لقد كان في عصر أبي الطيب أمة ممزقة الأوصال، وكان هناك أعداء يتربصون بها الدوائر، وكان هناك إمارة عربية واقفة بشموخ متحدية الأقدار، رافضة الانهزام معلنة بقاء الأمة على الرغم من محنتها وتشتتها، وكان هناك رجال مخلصون اعتبرهم المتنبي والتاريخ رمزاً للإنسان العربي المسلم.

(١) ابن الأثير: المثل السائر ص ٢٣١.

(٢) طه حسين: مع المتنبي ص ١٧٤.

لقد كان لكلمات المتنبي دورها الفاعل في ذروات التحدي، وكانت عاملاً أساسياً في تحريك الأمة نحو مواطن الأعداء، وبيان مكامن الأخطار، لقد كان يدعو إلى الثورة من أجل التخلص من ربة الأعداء، ومن زمر الأعداء المتخاذلين.

لقد وجد أبو الطيب نفسه عند أمير عربي مجاهد لا يكتفي بإذاعة فضائله ووصف وقائع بل يشاركه في القتال ويحضّ الجند على خوض غمار المعارك.

لقد أستطاع أبو الطيب أن يجمع في شعره بين الفن والفروسية، فهو شاعر استطاع أن يرسم بمهارته الفنية وإحساسه المرفه، وخياله الواسع أروع اللوحات المتجانسة الخطوط والألوان النابضة بالحركة والحياة للمعارك التي خاضها مع سيف الدولة والتي شاهدها عن قرب، لذلك امتاز شعره الجهادي ببراعة التصوير وأصالة الفن والدقة في تتبع أحداث المعركة بالصورة والصوت، لذلك جاء شعره عبارة عن عدسة تصوير ناطقة تنقل إليك صورة الجيشين المتحاربين، فالأعداء جاؤوا غارقين بالسلاح والحديد.

وإذا نظر الإنسان إلى خيولهم خيّل إليه أنها بلا قوائم، وإذا لمع السلاح تحت أشعة الشمس لم نستطع أن نميز بين السيف من غيره لأنّ السلاح قد غطى أجسادهم، وأنتك واجد المتنبي وهو يصوّر المعركة، يعرض عليك صوراً حية للكتائب المتصارعة وتعبثها، خططها الحربية، طرقها في التقدم والهجوم وما يصادفها عبر هذا الاندفاع من استحكامات عسكرية وعوارض طبيعية، وما أن يقف بك في حومة الوغى والصراع حتى تسمع هتافات الجند وأنين الجرحى، وصهيل الخيول وجلجلة الأسلحة.

الحرب عند أبي الطيب تحتاج إلى قيادة واعية مبدعة مخلصه لدينها وتحتاج إلى تخطيط سليم من أناس مختصين في شؤون الحرب، وإلى أمة متفانية من أجل الدفاع عن عقيدتها، وقد وجد ذلك في الأمير المجاهد سيف الدولة.

لذلك تجد في وصف المتنبي لجهاد سيف الدولة عند الثغور فتوة عربية، وترى هذه الفتوة العربية تشيع في وصف المتنبي حية قوية مضطربة شديدة

الاضطراب كأنها الكهرباء، لا تكاد تتصل بهذا الشعر حتى ينتقل إليك ما صور فيه المتنبي الثقة، والإيمان بالحق، والارتفاع عن صغائر الأمور دائماً^(١).

إن المتنبي ارتقى بشعر الجهاد حتى انتهى به إلى أقصى ما كان قد قدر له من كمال، وإنك تشعر هذا شعوراً قوياً واضحاً حين تقرأ شعر المتنبي وشعر أبي فراس في وصف هذا الجهاد، فكلا الشاعرين قد شهد المواقع واشترك فيها، وذاق لذاتها وآلامها، ثم وصف ما تركت في نفسه، وفي نفس غيره من الأثر ولكنك تجد في وصف المتنبي قوة وفتوة ونشاطاً وعنفاً لا تجدها في شعر أبي فراس الذي ظهرت فيه دقة الحس، ورقة العاطفة، فهو لا يخلو من فتور لا يلائم هذه الحياة العنيفة التي كان يحياها العرب من المسلمين في ذلك الوقت.

إن أشعار المتنبي في وصف المعارك تعطينا من الانطباع البصري والسمعي الحقيقي للزخوف والمعارك والتعقيبات والمجازر أكثر مما تعطينا الحكايات التاريخية، وهي أفضل من الحكايات التاريخية في كونها تقدم لنا لوحة حية عن أبهة حفلات استقبال الشعراء وعظموتها التي لم يأت عليها المؤرخون إلا بكلمات معدودات، فالقصاصات تعج بهذه التفاصيل التي تشرّب إليها تطلعاتنا العصرية وذلك لاستحضار الماضي بصورة دقيقة^(٢).

إن أبا الطيب كان يقول الشعر متأثراً بما يرى قبل كل شيء، ويحكى عنه أنه كان لا يريد أن يصف الوقائع التي لم يشهدها مع الأمير سيف الدولة ومن هنا نفهم السبب الذي تحسه حين تقرأ وصفه لهذا الجهاد بين المسلمين والروم.

إن شعر الجهاد الذي نحن بصده هو عبارة عن وثائق تاريخية، لم تنهياً لشاعر قبله من حيث الواقع والكثرة، فهو يذكر دقائق الأمور في المعارك فحين تقرأ شعر الجهاد، ترى نفسك أمام جيش المسلمين المظفر يقوده البطل المجاهد ويعلن البشائر بعد كل نصر حائماً الأمير على ضرب الكافر المعتدي.

(١) طه حسين: مع المتنبي ص ١٧٤.

(٢) ماريوس كنار: المتنبي والحرب البيزنطية العربية، مجلة المورد عدد ٢ ص ٧٥-٧٦.

لقد نظم الشاعر في سيف الدولة (١٥١٢) بيتاً من الشعر في أكثر من ثمان وثلاثين قصيدة وإحدى وثلاثين قطعة، وهذا الشعر يُعدّ ثلث شعر الشاعر وهي ولا شك أفضل ما في ديوان الشاعر، منها ثماني عشرة قصيدة ومقطوعة في جهاده ضد الروم، كان شاعرنا فيها يُنفّخُ مزامير الحرب، ويدقُّ طبولها، وهذه القصائد تمثل قمة العنف في الصراع مع الروم، لذا غدت موكباً للقوة، وحشداً معنوياً في تصوير هذه القوة^(١).

يقول نصرت عبد الرحمن^(٢): «إن سيفيات المتنبي تدور في ثلاثة أفلاك:

أولاً: إن العرب وعلى رأسهم سيف الدولة لا يُفْهرون.

ثانياً: إن الروم مُنْهَزَمون وإن جمعوا الجيوش ومهما بلغت قوتهم.

ثالثاً: إن سيف الدولة خَيْرُ أمراء العرب والمسلمين بطولة وذوداً عن ديار الإسلام».

لقد جاء المتنبي فملاً الدنيا وشغل الناس كما يقول ابن رشيقي القيرواني وسيظل شعره في الحرب ملحمة المسلمين الكبرى.

لقد كان المتنبي أعظم شاعر خلّد حروب المسلمين مع البيزنطيين فبذّه بذلك كل شاعر قبله^(٣)، ولقد عُدّ أشعر المسلمين^(٤) في شعر الجهاد، ومنهم من عدّه شاعر الإسلام^(٥)، وبطل المتنبي في شعر الجهاد - الحروب - رجل الدولة^(٦) ساهر على مصالح الأمة وذائد عنها عاديّات الشر، عارف مواضع الشدة ومواقع اللين.

(١) عبد الوهاب عزام: ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام ص ٨٤.

(٢) نصرت عبد الرحمن: شعر الصراع مع الروم ص ٣٣١.

(٣) ماريوس كنار: المتنبي والحروب البيزنطية العربية، مجلة المورد عدد ٢ ص ٧٧-٨٤.

(٤) الزركلي: الأعلام ج ١ ص ١١٠.

(٥) الراجعي: تاريخ آداب العرب ج ٢ ص ١٨٣-١٨٤.

(٦) هادي نهر: مع المتنبي في شعره الحربي ص ٣٢٢.

لم يكن في شعر المتنبي أعذب نظماً ولا أبعد أثراً من شعره في قصائد الجهاد التي نسجها على هفوف الصحراء، ومزجها بحمحمات الخيل صافقة سنايكها على درب الروم تسم عليها صدور البزاة بمقدوح الشرر^(١).

إن قصائد المتنبي الجهادية فوق ما حوته من قيمة أدبية فإنها تجمع في أبياتها قيمة تاريخية، وجغرافية غالية القدر وتُعدّ وثائق في غاية الخطورة لكتابة التاريخ السياسي والتحقيق الأدبي في عصر سيف الدولة^(٢).

إن الأحداث الرئيسية للحرب الناشئة بين بيزنطة وسيف الدولة التي شهدها المتنبي، كان لها صداها في أشعاره، فلم يدعْ أية غارة تمر دون أن يقول فيها قصيدة أو قصيدتين، وبالأستعانة بشرح المتنبي بعد شعر المتنبي نفسه بوسعنا أن نعيد تمثيل تاريخ شبه كامل عن هذه الحروب التي اندلعت بين سنة ٣٣٧-٣٤٥هـ.

في عام ٣٣٦هـ حرر سيف الدولة «حِصْنَ برزويه» والتقى بالمتنبي في أنطاكية فمدحه بقصيدة هذا مطلعها:

وفاؤكما كالرَّبْعِ أَشْجَاهِ طَاسِمُهُ بَأَنْ تُسْعِدَا وَالِدَمْعِ أَشْفَاهِ سَاجِمُهُ^(٣)

في عام ٣٣٩هـ قام سيف الدولة بحملة كبيرة في أرض الروم ووصل خرشنة وقال في هذه المناسبة قصيدتين الأولى قبل المعركة وهي الجيمية ومطلعها:

لَهَذَا الْيَوْمِ بَعْدَ غَدٍ أَرِيحُ وَنَارٌ فِي الْعَدُوِّ لَهَا أَجِيحُ^(٤)

والثانية العينية التي قالها بعد الهزيمة ومطلعها:

غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ إِنْ قَاتَلُوا جَبُّوا أَوْ حَدَّثُوا شَجَعُوا^(٥)

(١) زكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب ص ٢٧٥.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٧٤.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ٣ ص ٣٢٥.

(٤) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٣٧.

(٥) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٢١.

وفي عام ٣٤٠هـ نهض سيف الدولة للقاء الروم ليغسل عن المسلمين وعن نفسه عار الهزيمة التي أصابتهم عام ٣٣٩هـ وكان المسلمون علموا أن جيوش العدو ضخمة كثير العدد فهابوه، وتقدم الأمير إلى الشاعر ليثبت قلوب المسلمين ويحرضهم على القتال فأنشد نوبته:

نَزورُ دياراً ما نُحِبُّ لها مَعْنَى ونَسألُ فيها غَيْرَ سَكَّانِها الإذْنا^(١)

وفي نفس عام ٣٤٠هـ قال يمدح سيف الدولة ويذكر هجوم الشتاء:

عَوَازِلُ ذَاتِ الْخَالِ فِي حَوَاسِدُ وَإِنَّ ضَجِيعَ الْخَوْدِ مَنِّي لِمَاجِدُ^(٢)

وفي أوائل عام ٣٤١هـ زحف سيف الدولة على مرعش وعاد مظفراً فأنشد

المتنبي:

فَدَيْنَاكَ مِنْ رَبِّعٍ وَإِنْ زِدْتَنَا كَرْباً فَإِنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالْغَرْباً^(٣)

وفي عام ٣٤١هـ أرسل ملك الروم وفداً يطلب الهدنة فقال المتنبي:

لِعَيْنَيْكَ مَا يَلْقَى الْفُؤَادُ وَمَا لَقِيَ وَلِلْحُبِّ مَا لَمْ يَبْقَ مَنِّي وَمَا بَقِيَ^(٤)

وفي عام ٣٤٢هـ زحف سيف الدولة على بلاد الروم ثم عاد مظفراً وأسر

قسطنطين بن برواس فوكاس فأنشد:

لِيَالِيٍّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ طَوَالُ وَلِيلِ الْعَاشِقِينَ طَوِيلُ^(٥)

وفي نفس عام ٣٤٢هـ هنا المتنبي سيف الدولة بعيد الأضحى فقال:

لِكُلِّ امْرِئٍ مِمَّنْ دَفَرَهُ مَا تَعَوَّدَا وَعَادَاتُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنُ فِي الْعِدَا^(٦)

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٤ ص ١٦٥.

(٢) المصدر نفسه ج١ ص ٢٦٨.

(٣) المصدر نفسه ج١ ص ٥٦.

(٤) المصدر نفسه ج٢ ص ٣٠٤.

(٥) المصدر نفسه ج٣ ص ٩٥.

(٦) المصدر نفسه ج١ ص ٢٨١.

وفي عام ٣٤٣هـ أنهزم الروم أمام سيف الدولة هزيمة نكراء فأنشد المتنبي:

على قَدَرِ أَهْلِ الْعَزَمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وتَأْتِي عَلَى قَدَرِ الْكَرَامِ الْمَكَارِمُ^(١)

وفي نفس عام ٣٤٣هـ أقبل سفراء الروم، فأدخلوا على سيف الدولة في حفل رهيّب، فأنشد الشاعر:

ظَلَمَ لَذَا الْيَوْمِ وَصَفَ قَبْلَ رُؤْيَيْهِ لَا يَصْدُقُ الْوَصْفُ حَتَّى يَصْدَقَ النَّظَرُ^(٢)

وقال المتنبي أيضاً في نفس عام ٣٤٣هـ:

دُرُوعٌ لِمَلِكِ الرُّومِ هَذِي الرِّسَائِلُ يَرُدُّ عَنْ نَفْسِهِ وَيُشَاغِلُ^(٣)

وفي محرم عام ٣٤٤هـ أقبل سفراء ملك الروم يطلبون الهدنة فقال:

أَرَاعَ كَذَا كُلَّ الْمُلُوكِ هُمَامُ وَسَخَّ لَهُ رُسُلُ الْمُلُوكِ غَمَامُ^(٤)

وفي عام ٣٤٤هـ نقض الروم الهدنة ولكن سيف الدولة نهض إليهم فلمّا علموا بمقدمه جَلَوْا وعادوا أدراجهم فأنشد أبو الطيب:

ذِي الْمَعَالِي فَلْيَعْلُوْنَ مَنْ تَعَالَى هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا^(٥)

وفي محرم عام ٣٤٥هـ علم سيف الدولة أن الروم قد هموا بالغارة على آمد فنهض إليهم فقال المتنبي هذه القصيدة بهذه المناسبة.

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمَحَلِّ الثَّانِي^(٦)

وفي سنة ٣٤٥هـ قال قصيدته الميمية وهي آخر قصيدة قالها بحضرة سيف الدولة:

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٣ ص ٣٧٨.

(٢) المصدر نفسه ج٢ ص ٩٨.

(٣) المصدر نفسه ج٣ ص ١١٢.

(٤) المصدر نفسه ج٣ ص ٣٩٣.

(٥) المصدر نفسه ج٣ ص ١٣٤.

(٦) المصدر نفسه ج٤ ص ١٧٤.

عُقْبَى الْيَمِينِ عَلَى عُقْبَى الْوَعْدِ نَدْمٌ ماذا يزيدُكَ في إقدامِكَ الْقَسَمُ^(١)
والآن وبعد أن ذكرنا القصائد الجهادية التي قالها المتنبي في سيف الدولة لا
بدّ لنا من العودة إلى التفصيل في هذه الجهاديات أو ما تسمى بـ «السيفيات» لنرى
قيمة هذا الشعر ومقدار روعته ومدى مساهمته في المعارك.

معركة عام ٣٣٦هـ^(٢):

كان الروم قد ملكوا حصن برزويه وهو أحد الحصون الحربية الهامة فانطلق
سيف الدولة سنة ٣٣٦هـ^(٣) إلى الحصن وأطال حصاره فانتهر القائد الروماني
الفرصة وحاصر الحدث، ونجح كل من القائدين في مهمته، حيث استرد سيف
الدولة حصن برزويه، وفتح لاون بن برداس الحدث وخرب سورها، فلما عاد
سيف الدولة إلى حلب مرّ بأنطاكية وكان ذلك سنة ٣٣٧هـ، وكان المتنبي موجوداً
هناك عند الأمير أبي العشائر فأنشده المتنبي قصيدته الجميلة التي مطلعها:

وفاؤُكُمْ كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمِهِ بأن تُسْعِدَا والدَّمَعِ أَشْفَاهُ سَاجِمِهِ^(٤)

بعد ذلك يسجل هذه الصورة حيث يراها في مظلة ذات عمودين نصبت
لسيف الدولة بعد انتصاره في حصن برزويه ويستغلها ليعظم الأمير:

وَأَحْسَنُ مِنْ مَاءِ الشَّيْبَةِ كُلِّهِ حَيًّا بَارِقٍ فِي فَازَةٍ أَنَا شَائِمُهُ^(٥)

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٤ ص ١٥.

(٢) مصطفى الشكعة: سيف الدولة الحمداني ص ١٢٤.

(٣) سامي الكيالي: سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص ٨٤.

(٤) الشجو: الهم والحزن، شجاء: أحزنه، مادة (شجو) مختار الصحاح ص ٣٣٠.

شجو: الشين والجيم والحرف المعتل يدل على شدة وصعوبة، مادة (شجو) معجم مقاييس
اللغة.

الشجو: الهم والحزن والشجاء ما اعترض في خلق، مادة (شجو) لسان العرب ص ٢٧٥.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٣ ص ٣٢٥.

(٥) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٣ ص ٣٣٤.

ثم ينتقل الشاعر ليطعن بالزوم وليبين أن الحرب دينية بين مؤمنين وكافرين
استمع إليه كيف يصور الكفار الروم ساجدين لسيف الدولة، وقد خضعوا له
يقبلون بساطه بأفواههم، عندما يقعون له سجداً لأنهم لا يقدرّون على تقبيل كُمة
ويده لارتفاعه وعلو مكانه لأنه أعظم منهم شأنًا.

وفي صورة الرومي ذي التاج ذلّة لا بلج لا تيجان إلا عمائمُه
يُقبّل أفواه الملوك بساطه ويكبّر عنها كُمة وبراجمه^(١)
قياماً لمن يشفى من الداء كيّه ومن يبين أذنى كلّ قرم مواسمه^(٢)
ثم ينتقل الشاعر إلى وصف عسكر سيف الدولة فيقول:

له عسكرا خيل وطير إذا رمى بها عسكراً لم يبق إلا جماجمه^(٣)
أي إن له عسكرين خيله والطير التي اعتادت أن تصحبه لكثرة وقائعه حتى
تأكل من لحوم القتلى، لأن عسكر الخيل يقتلهم وعسكر الطير يأكل لحومهم.
ويستمر في تصوير قوة جيش الأمير سيف الدولة وبلائه في المعارك
فيقول: كفاه أن ما يوضع على ظهر الخيل ما هو إلا ثياب كل طاع من ملوك
الروم.

أجلتها من كل طاع ثيابه وموطئها من كل باغ ملاغمه^(٤)

(١) البراجم: الأصابع وهي رؤوس السلاميات من ظاهر الكف.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٣ ص ٣٣٥-٣٣٦.

(٢) القرم: السيد.

المواسم: جمع ميسم وهو الذي يوسم به.

(٣) الجماجم: جمع جمجمة وهي عظم الرأس.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٣ ص ٣٣٦.

(٤) الأجلة: جمع جُلّ، ما يجعل على ظهر الدابة.

الملاغم: ما حول الفم، مفردا ملغم.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٣ ص ٣٣٧.

يستمر الشاعر في تسجيل هذا العراك حيث كان الأمير سيف الدولة يغير على الروم عند الصبح وهذا من عادات العرب في غاراتها ليغافلوا القوم لذلك فقد ملّ الصبح وضجر مما تغير فيه، كما أن رماح الأعداء ملّت من دق سيف الدولة أعاليها، إن سيف الدولة جعل الطير التي تطير فوق عسكره سحاباً، وجعل جيشه سحاباً لما فيه من بريق الأسلحة، وصبّ الدماء، وصوت الأبطال.

فَقَدْ مَلَّ ضَوْءُ الصُّبْحِ مِمَّا تُغَيِّرُهُ وَمَلَّ سَوَادُ اللَّيْلِ مِمَّا تُزَاحِمُهُ
وَمَلَّ الْقَنَا مِمَّا تَدُقُّ صَدُورُهُ وَمَلَّ حديدُ الْهِنْدِ مِمَّا تُلَاطِمُهُ^(١)
سَحَابٌ مِنَ الْعُقْبَانِ يَزْحَفُ تَحْتَهَا سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقَتَهَا صَوَارِمُهُ^(٢)

ولا ينسى المتنبي أن يؤكد أن عمل سيف الدولة هو رسالة إلهية موكل إليه القيام بها، ولا يخفى ما في ذلك من إشارة إلى واقع تاريخي، واقع الخليفة من حماية الدين وواقع أمير حلب من أنه سيف يتقلده الخلفاء ويضرب الله به أعداءه.

على عاتقِ الْمُلْكِ الْأَغْرَ نِجَادُهُ وفي يَدِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ قَائِمُهُ^(٣)
معارك عام ٣٣٩هـ^(٤):

نظم الشاعر في هذا العام قصيدتين الأولى في «السنبوس» قبل أن يدخل غمار المعركة وذلك من أجل تحريض الجيش على القتال، وتثبيت المسلمين وحثهم على الهجوم وإنذار النصارى بما سيصب عليهم من نار الحرب.

(١) القنا: الرماح.

(٢) العقبان: جمع عقاب، وهو طائر كبير من الجوارح.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٣ ص ٣٣٧-٣٣٨.

(٣) نجاهه: النجاد هو ما وقع على العاتق من حمائل السيف، النجاد: بالكسر حمائل السيف. مختار الصحاح ص ٦١٦.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٣ ص ٣٤.

(٤) مصطفى الشكعة: سيف الدولة الحمداني ص ١٢٠، سامي الكيالي: سيف الدولة ص ٥٥.

تقدم سيف الدولة في الأرض البيزنطية فاتحاً مُكْتَسِحاً، وقد أخذته نَشْوَةُ
النَّصْر، فَظَلَّ يَضْرِبُ في الأرض والحصون تتساقط أمامه وتحت سنايك خيله
حصناً بعد حصن، وأسر كثيراً من جنود الروم، وفتح «سَمِنْدُو» و«خَرْشَنَة» وظل
يتقدم حتى وصل إلى «صارخه» وهي غير بعيدة عن العاصمة «القسطنطينية» ففزع
الروم من هذا النصر الذي احتشد له سيف الدولة واشترك فيه كثير من أهل الثغور
خاصة فرسان طرسوس فانهزم الجيش البيزنطي أقبح هزيمة.

انْتَشَى المجاهدون بالنَّصْر، وأستهانوا بالجيش البيزنطي وعلى رأسه
«الدمستق» وبدا ذلك جلياً في قصيدته التي مطلعها:

لهذا اليوم بَعْدَ غَدٍ أَرِيحُ ونازاً في العدو لها أجيح^(١)

ومن مطلع القصيدة يطل علينا المتنبي المؤرخ ليعلن إشارة السير إلى المعركة
وليحدد لها وليتنبأ بظفر الأمير المجاهد فيقول: سيكون لهذا اليوم الذي أنت سائر
فيه لحرب الروم نشر طيب، وسيكون له نار حرب تكوي الأعداء:

تَبَيَّنَتْ بِهِ الْحَوَاضِنُ آمِنَاتٌ وَتَسَلَّمُ فِي مَسَالِكِهَا الْحَجِيجُ^(٢)

في هذا البيت رد لاعتبار الحجيج الذين كانوا مهددين بالقتل وطرقهم غير
مؤمنة بسبب هجمات الأعداء عليهم.

(١) أريح: قال ابن سيده: الأريح: الريح الطيبة وجمعها أرائج ومثل توهج ريح الطيب. لسان
العرب ج١ ص ٤٤.

الرازي: مختار الصحاح ص ١٣٠. أريح: توهج ريح الطيب.

أجيح: صوت النار. قال الشاعر:

أصرف وجهي عن أجيح التنور كأن فيه صوت فيل متحور

لسان العرب مادة (أجيح) ص ٢٣ ج١.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج١ ص ٢٣٧.

(٢) الحواضن: العفائف من النساء.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج١ ص ٢٣٧.

بعد ذلك يقرر الشاعر أن الصراع بين المسلمين والروم هو حرب دينية يكثر فيها الدّعاء ويتطاحن أبناء الديانتين والفوز فيها للمسلمين أصحاب عقيدة التوحيد اسمعه يقول:

تُحَاوِلُ نَفْسَ مَلِكِ الرُّومِ فِيهَا فَتَقْدِيهِ رَعِيَّتُهُ الْعُلُوجُ^(١)
أَبَا الْعَمَرَاتِ تَوَعَّدْنَا النَّصَارَى وَنَحْنُ نُجُومُهَا وَهِيَ الْبُرُوجُ
وَفِينَا السَّيْفُ حَمَلَتْهُ صَدُوقٌ إِذَا لَاقَى وَغَارَتْهُ لُجُوجُ
نَعْوَدُهُ مِنَ الْأَعْيَانِ بَأْسًا وَيَكْثُرُ بِالْدَّعَاءِ لَهُ الضَّجِيجُ^(٢)

يستمر الشاعر في التحدي فيقول لو أوقف الروم زحفنا في هذا المكان ففيما أحرزناه من النصر كفاية، وإن أحجم الإمبراطور عن حربنا فإننا واصلون إلى الخليج أي البسفور ويعني بذلك القسطنطينية.

رَضِينَا وَالِدُ مُسْتَقٍ غَيْرُ رَاضٍ بِمَا حَكَمَ الْقَوَاضِبُ وَالْوَشِيجُ^(٣)
فَإِنْ يُقَدِّمُ فَقَدْ زُرْنَا سَمْنَدُو وَإِنْ يُحْجِمُ فَمَوْعِدُهُ الْخَلِيجُ^(٤)

إنّ هذه القصيدة كانت تحريضاً للجيش الإسلامي على الجهاد لكي يقاتلوا أعداءهم بكل قوة، وتثبيتاً لقلوب المسلمين في المعركة وحثاً لهم على الهجوم ليحرروا البلاد من الظلم والاستعباد، كما أنّها إنذارٌ للنصارى بما سيصيب عليهم من نار الحرب.

(١) العلوج: جمع علج الواحد من كفار العجم مختار الصحاح ص ٤٤٩. الرجل من كفار العجم والأنثى علجه ويقال للرجل القوي الضخم من الكفار، وفي الحديث: «فأتني بأربعة أعلاج من العدو». لسان العرب ج ١ ص ٨٥٨.

(٢) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ١ ص ٢٣٨-٢٣٩.

(٣) القواضب: جمع قاضب وهو السيف القاطع. القضب: القطع. مادة (قضب) مختار الصحاح ص ٥٣٩. القضب: من السيوف اللطيف قال ابن الأثير: السيف اللطيف الدقيق. لسان العرب مادة (قضب) ج ٣ ص ١٠٨.

الوشيج: مادة وشج شجر الرماح لسان العرب ج ٣ ص ٩٢٨.

(٤) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ١ ص ٢٣٩-٢٤٠.

لقد كان الشاعر في هذه القصيدة عظيم الأمل، واثقاً كل الثقة بالفوز ثم كانت مسيرة المسلمين بعد هذه القصيدة محققة لذلك الأمل، فقد انتصر المسلمون في غزوهم وهزموا عدوهم في كل موطن، وكان الأمير يريد أن يمضي في الغزو ولكن بعض الجند سئموا من الحرب وأشفقوا في الإمعان في الغزو، فطلبوا الرجوع إلى أوطانهم، وألحوا في ذلك، فاستمع لهم الأمير، فلما رجعوا مثقلين بالغنائم والأسرى تبعهم العدو منقضاً عليهم أثناء قفولهم، آخذاً عليهم الطرق حتى كانت الهزيمة، وقد أثارت هذه الهزيمة نفسية المتنبي فقال القصيدة الثانية.

القصيدة الثانية عام ٣٣٩هـ:

سبق أن قلنا بأن سيف الدولة تقدم في الأرض البيزنطية، وأحرز نصراً مؤزرًا، وغنم أسلاباً كثيرة، وغر سيف الدولة مثل هذا الظفر، فأبوا مترنحين بنشوة الظفر، ومعهم حوالي مائة وعشرين بطريقاً، فأخذهم الروم على غرة، حيث لم يعلم سيف الدولة أن الروم قد ارتدوا بقيادة «قسطنطين برداس» فسدوا عليهم الطرق، وأخذوا عليهم بعض مخارم الجبال، فصبوا عليهم الصخور، وأصلوهم غارة شعواء، وأمعنوا فيهم قتلاً، حتى تشتت جيش سيف الدولة، وفر جمعه وتقطع جنده، فجعل سيف الدولة يستفزهم فلا ينفرون، فلم يجد بداً من أن يقتل أسراه خلاصاً من عبثهم وغدرهم.

وقد حاول سيف الدولة أن يتحجر خشية الوقوع في أيدي الروم، فقفز بفرسه صوب وادي سحيق حتى يتفادى كميناً للأعداء، فوقع الفرس قائماً ونجا الأمير.

لقد كانت هذه المعركة عجيبة الشأن حيث إنها جمعت بين طرفي النقيضين النصر المؤزر والهزيمة التي كادت تذهب بالأمير^(١).

أنشد المتنبي قصيدته مصوراً للانفعالات التي صادفت نفسه الحزينة ونفس الأمير الكليمة، لذلك نراه لم يبدأ القصيدة بالغزل كعادته، وإنما بدأها بذكر من

(١) مصطفى الشكعة: سيف الدولة الحمداني ص ١٢٢.

يخدعون بالرجال ويظنون بهم بأساً وما هؤلاء الرجال إلا أدعياء شجاعة جناء عند القتال، والآن دعنا نعيش مع القصيدة.

غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ إِنْ قَاتَلُوا جَبُّوا أَوْ حَدَّثُوا شَجَعُوا
أَهْلُ الْحَفِظَةِ إِلَّا أَنْ تُجَرَّبَهُمْ وَفِي التَّجَارِبِ بَعْدَ الْغَيِّ مَا يَزَعُ
وَمَا الْحَيَاةُ وَنَفْسِي بَعْدَ مَا عَلِمْتُ إِنَّ الْحَيَاةَ كَمَا لَا تَشْتَهِي طَبْعُ
لَيْسَ الْجَمَالُ لَوَجْهِ صَحَّ مَارِنُهُ^(١) أَنْفُ الْعَزِيزِ بَقَطْعِ الْعِزِّ يُجْتَدِعُ
أَطْرَحُ الْمَجْدَ عَنْ كِتْفِي وَأَطْلُبُهُ وَأَتْرُكُ الْغَيْثَ فِي غِمْدِي وَأُنْتَجِعُ^(٢)
وَالْمَشْرِفِيَّةُ لَا زَالَتْ مُشْرِفَةً دَوَاءُ كُلِّ كَرِيمٍ أَوْ هِيَ الْوَجَعُ^(٣)

في الأبيات السابقة يصور الشاعر أدب الحرب وشروط الفروسية فليست الفروسية جمال وجه، وإنما هي بأس وكفاح.

إن الفارس عند أبي الطيب هو الذي يثبت في حومة الوغى على ظهر فرسه ويوقرها إذا خفت وأرادت الفرار وكان دمه هو الذي ينسكب من أعطافها فيقول في شرط هذا الفارس المجاهد.

وفارسُ الْخَيْلِ مَنْ خَفَّتْ فَوْقَ رَاسِهَا فِي الدَّرْبِ وَالْدَّمَ فِي أُعْطَافِهَا دُفْعُ^(٤)

بعد هذه الأبيات التي بدأت حزينة ثم انتهت بحث المجاهدين ينتقل إلى وصف المجاهدين، ويذكر مسرى الأمير الذي ينقض على بلاد الأعداء كالصاعقة، ثم يستطرد الشاعر واصفاً حال الروم وقد نزلت عليه جيوش سيف

(١) المارن: مقدم الأنف وهو ما لان منه. مختار الصحاح ص ٦٢٢ مادة (مرن).

(٢) الانتجاع: طلب الكلاء.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ٢ ص ٢٢١-٢٢٢.

(٤) فوقرها: ثبت مادة (وقر)، مختار الصحاح ص ٧٣٢. قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾.

الدرب: الطريق الذي يسلك. معجم البلدان ج ٢ ص ٤٤٧.

الأعطاف: جمع عطف وهو الجانب. مادة (عطف) ص ٤٤٠ مختار الصحاح.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ٢ ص ٢٢٣.

الدولة فدارت رحى الحرب وتقارعت السيوف، واشتبكت القنا، فأصبحوا من كثرة القتلى طعاماً للطيور التي لا تميز لكثرة الدماء بين القتل والحي فأذهل ذلك المنظر عين الدمستق حتى كاد يكذب نفسه:

حتى أقام على أرباضِ خَرَشَنَةِ تشقى بها الرومُ والصُّلبانُ والبيعُ
للسَّبي ما نَكَحُوا، والقتل ما وَلَدُوا والنَّهب ما جَمَعُوا والنَّار ما زرعُوا
مُحَلَّى لَهُ الْمَرْجُ منصوباً بصَارِخَةٍ له المنايرُ مشهوداً بها الجَمْعُ^(١)
يُطَمِّعُ الطَّيْرَ فيهم طولُ أَكْلِهِمْ حتى تكاد على أحيائهم تقَعُ
ولو رآه حواريُّوهم لَبَنَوْا على محبِّهِ الشَّرْعَ الذي شرَّعُوا
ذَمَّ الدُّمُسْتُقُ عَيْنِيهِ وَقَدْ طَلَعَتْ سودُ الغمامِ فظنُّوا أَنَّهَا قَزَعُ^(٢)
فيها الكمأة التي مَقْطُومُهَا رَجُلٌ على الجيادِ التي حَوَّلِيْهَا جَذَعُ^(٣)

ويبلغ الشاعر ذروة العظمة في وصف الروم المنهزمين أمام المجاهدين المسلمين وكيف أن قائدهم قد هرب، إلا أن الكثرة من جنوده وقعوا صرعى، وكلهم أكرم منه وأشجع، لأنهم صمدوا دونه، ولم يلوذوا بالفرار، ومع ذلك فإن من كُتِبَ لهم النجاة عاشوا فزعين في حالة الأمن، خائفين مذعورين في أيام السلام، لأن المنايا تطاردهم وتقض مضاجعهم:

إذا دعا العِلْجُ عِلْجاً حَالاً بَيْنَهُمَا أظمى^(٤) تفارقُ منه أختها الضَّلْعُ
أجلُّ من وَلَدِ الْفُقَّاسِ^(٥) مُنْكَتِفٌ إذا فاتهنَّ وأمضى منه مُنْصَرِعٌ

(١) المرج: موضع بلاد الروم.

العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ ٢ ص ٣٢٤-٣٢٥.

(٢) القزع: المتفرق من السحاب.

(٣) الجذع: الذي أتى عليه حول وجمعه جذعان وجذاع.

العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ ٢ ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٤) أظمى: الرمح.

(٥) الفقاس: الدمستق.

وما نَجَا مِنْ شِفَارِ الْبَيْضِ^(١) مُنْقَلِتٌ نَجَا وَمَنْهُنَّ فِي أَحْشَائِهِ فَرْعٌ
يَاشِرُ الْأَمْنِ دَهْرًا وَهُوَ مُخْتَبِلٌ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ حَوْلًا وَهُوَ مُمْتَقِعٌ^(٢)
كَمْ مِنْ حُشَّاشَةٍ بِطَرِيقٍ تَضْمَنُهَا لِلْبَاتِرَاتِ أَمِينٌ مَا لَهُ وَرَعٌ^(٣)
يَقَاتِلُ الْخَطُوءَ عَنْهُ حِينَ يَطْلُبُهُ وَيَطْرُدُ النَّوْمَ عَنْهُ حِينَ يَضْطَجِعُ
تَغْدُو الْمَنَايَا فَلَا تُنْفَكُ وَاقِفَةً حَتَّى يَقُولَ لَهَا عُودِي فَتَنْدَفِعُ^(٤)

بعد ذلك يتعرض الشاعر لأمرٍ دقيق غاية الدقة وهو هزيمة المسلمين، فيطرق الهزيمة ببراعة تامة، وتصرف حسن، حتى يكاد يجعل منه نصراً، لقد جعل أولئك الأسرى من جيش المسلمين الذين وقعوا في قبضة كفار الروم عسكرياً خونة متخاذلين جازاهم الله بما صنعوا من خذل الأمير حين استنفرهم، وقد وصف هؤلاء الجنود لتهاونهم على الحرب بأنهم كالأموات فليس يأكلهم إلا الضباع، وقد جاء أسر هؤلاء تنقية لجيش المسلمين إذ تخلص منهم سيف الدولة، وكانوا جنوداً فيهم الفصل الدنيء، وفيهم الرعديد، حتى إذا عاد جيش المسلمين إلى حلب عاد وهو خالص من أولئك الجنود المأسورين:

قُلْ لِلدُّمُسْتُقِ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَكُمْ خَانُوا الْأَمِيرَ فَجَازَاهُمْ بِمَا صَنَعُوا
وَجَدْتُمُوهُمْ نِيَامًا فِي دِمَائِكُمْ كَأَنَّ قَتْلَكُمْ إِيَاهُمْ فَجَعُوا
ضَعْفِي تَعَفَّى الْأَيَادِي عَنْ مِثَالِهِمْ مِنَ الْأَعَادِي وَإِنْ هَمُّوا بِهِمْ نَزَعُوا^(٥)
لَا تَحْسَبُوا مَنْ أَسْرْتُمْ كَانَ ذَا رَمَقٍ فَلَيْسَ يَأْكُلُ إِلَّا الْمَيِّتَ الضَّبْعُ

(١) شفار البيض: حد السيوف.

(٢) مختبل: الذاهل المضطرب.

ممتقع: متغير اللون.

(٣) الحشاشة: النفس.

البطريق: الفارس من الروم.

(٤) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ ٢ ص ٢٢٨-٢٢٩.

(٥) نزع الشيء: رغب عنه وأعرض. مادة (نزع) مختار الصحاح ص ٦٥٤.

هَلَا عَلَى عَقَبِ الْوَادِي وَقَدْ صَعِدَتْ أَسَدُ تَمَرُ فُرَادَى لَيْسَ تَجَمَّعُ
تَشَقُّكُمْ بِقِنَاهَا كُلُّ سَلْهَبَةٍ وَالضَّرْبُ يَأْخُذُ مِنْكُمْ فَوْقَ مَا يَدْعُ
وَأِنَّمَا عَرَضَ اللَّهُ الْجَنُودَ بِكُمْ لَكِنِّي يَكُونُوا بِلَا فَسْلِ^(١) إِذَا رَجَعُوا
فَكُلُّ غَزْوٍ إِلَيْكُمْ بَعْدَ ذَا فَلَهُ وَكُلُّ غَازٍ لَسِيفِ الدَّوْلَةِ النَّبْعُ^(٢)

وليس من المبالغة في شيء إذا قلت إن هذه الأبيات من القصيدة لترتفع إلى مستوى الإعجاز، فتعليل المتنبي للهزيمة تعليل رائع، وتحويل الهزيمة إلى تنقية الجيش من الجبناء الأنذال العاجزين، وتجربة ودرس للمرات القادمة بالطريقة التي صاغها بها المتنبي لفظاً ومعنى وصوغاً وشعراً، ترفع القصيدة إلى مستوى فريد في هذا اللون من شعر الجهاد والحرب، والذي يعتبر المتنبي بحق مبتكره وصاحبه.

إن المتنبي وضع لشعر الحرب أسساً وطيدة، فصور المعارك كاملة المناظر بما لم يصوره شاعر عربي من قبل، حتى إن النقاد العرب حينما تحدثوا عن أبرز نواحي عبقريته قالوا: «إنه سريع الهجوم على المعاني ونعت الخيل والحرب من خصائصه»^(٣).

أما بلاشير من المستشرقين الفرنجة فإنه يقول: «إن قصائد المتنبي ترتفع إلى جلال الملاحم وهو جلال لا مثيل له في الشعر العربي من قبل»^(٤).

بعد ذلك يلتفت الشاعر إلى بطله المجاهد الكبير سيف الدولة بعد أن حوّل نصر الدمستق إلى هزيمة بهذه التعليقات البارعة، والمنتبي يلتفت إلى سيف الدولة في هذا المقام ليصبره ويذكر له أن تلك الهزيمة لا تشينه، لأنه برغم ذلك كله فارس زمانه الذي يعتلي مكانه فوق محلّ الشمس، والدهر يسعى للأمير بالقدر والسيف مؤتمر بأمره ينتظر يوم الانتقام، يوم الفصل من الروم.

(١) الفسل من الرجال: الرذل والدنيء العاجز. مادة (فسل) من مختار الصحاح ص ٥٠٤.

(٢) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ٢ ص ٢٢٩-٢٣١.

(٣) مصطفى الشكعة: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ص ٣٩٨.

(٤) بلاشير: المتنبي.

يمشي الكرام على آثار غيرهم وأنت تخلق ما تأتي وتبتدع
وهل يشينك وقت أنت فارسه وكان غيرك فيه العاجز الضرع
من كان فوق محل الشمس موضعه فليس يرفعه شيء ولا يضع
الدهر معتذر والسيف منتظر وأرضهم لك مصطفى ومرتبع
إن السلاح جميع الناس تحمله وليس كل ذوات المخلب السبع^(١)

معارك عام ٣٤٠هـ:

قرّر سيف الدولة أن يرّد الصاع صاعين في مكان يعرف بـ «السنبوس» ولما بلغه أن جيش الروم مزود بأربعين ألفاً من الرجال، تهيّهم جيش المسلمين، فأشد المتنبّي هذه القصيدة أمام الجند، مُحَرِّضاً إياهم على الجهاد في سبيل الله فرد إلى جيش المسلمين الثقة بأنفسهم، وأثار فيهم الحماس وحب التضحية من أجل إعلاء كلمة الله، مما كان له الأثر الفاعل في اندفاعهم نحو جيش الكفر، ومكثهم من الإيقاع في جيش العدو والفوز بالظفر والنصر.

لقد اكتسح سيف الدولة العدو أمامه اكتساحاً، وأمعن في الغزو، وكان يريد أن يصل إلى خرشنة، لكن الشتاء أقبل وسقط الثلج، فلم يستطع الأمير أن يتقدم، فعاد بجيشه مظفراً، ولم يستطع الروم أن يضايقوه، ولا أن يأخذوا عليه الطريق، وقد قال في هذه المناسبة القصيدة الجهادية التالية:

نزور دياراً ما نحب لها معنى ونسأل فيها غير سكاها الإذنا^(٢)
تقود إليها الآخذات لنا المدى عليها الكماة المحسنون بها الظنا^(٣)
ونُصفي الذي يُكنى أبا الحسن الهوى ونُرضي الذي يُسمى الإله ولا يُكنى

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٢ ص ٢٣١-٢٣٤.

(٢) المصدر نفسه ج٤ ص ١٦٥-١٦٩.

(٣) المدى: البعد.

الكماة: الكمي: الشجاع المتكفي بسلاحه أي المتغطي المستتر بالدرع والجمع كماء. مختار الصحاح مادة (كمي) ص ٥٧٩. الكمي: ملابس السلاح وقيل هو الشجاع المتقدم الجري، كان عليه سلاح أو لم يكن، مادة (كمي) لسان العرب المعكوس ص ٢٩٩.

في البيت الثالث من هذه القصيدة تلمح أن للمعركة عند المتنبى وجهين :
وجهاً خالص المودة لسيف الدولة، ووجهاً آخر هو إرضاء الله في مجاهدة الكفار
الروم، ثم يعلن المتنبى حقيقة في القتال عرف بها سيف الدولة في مجال تذكيره
للروم وتخويله لهم، حيث يقول لا تغتر الروم بتركنا أرضهم خلفنا، فإنَّ عَوْدَتَنَا
لتلك الأرض أسرع من رجوعنا عنها، وإذا صار الموت صريحاً في الحرب، بارزاً
ليس دونه قناع، توسلنا إلى ما نطلب ونريد من الحوائج، بطعن الأعداء بالرماح
وضربهم بالسيوف، وإننا نتقدم إلى الموت ونقصده، كما يقصد من يحب لقاءه .

وقَدْ عَلِمَ الرُّومُ الشَّقِيقُونَ أَنَّنَا إِذَا مَا تَرَكْنَا أَرْضَهُمْ خَلَفْنَا عُدُنَا
وإنَّا إِذَا مَا الْمَوْتُ صَرَخَ ^(١) فِي الْوَعْيِ لَيْسَنَا إِلَى حَاجَاتِنَا الضَّرْبِ وَالطَّعْنِ
إن العدو عندما رأى جيش المسلمين متقدماً نحوهم حثوا خيولهم على
الإقبال علينا، فلما اقتربنا وعرفونا حثوا خيولهم على الهرب منا .

وَحَيْلٍ حَشُونَاهَا الْأَسِنَّةَ بَعْدَمَا تَكْدُسْنَ مِنْ هُنَا عَلَيْنَا وَمِنْ هُنَا ^(٢)
ضُرِبْنَ إِلَيْنَا بِالسَّيَاطِ جِهَالَةً فَلَمَّا تَعَارَفْنَا ضُرِبْنَ بِهَا عَنَّا
يقول المتنبى لسيف الدولة: تجاوز القرى إلى الصحراء، وحارب بنا جيش
الروم وادُّ بنا إليهم دنو الملابس، تظفر يدك بما تشتهي، من ضرب وطعن
وسبي، فنحن أناس قد تقادم عهدنا بسفك دماء الروم، وقد برد ما سفكناه،
وعادتنا أن نتبع البارد من دماء الأعداء السخن منها، أي لا نفك من سفك
دمائهم، وإذا برد دمهم اتبعناه دماً طرياً حاراً .

تَعَدَّ الْقُرَى وَالْمُسُّ بِنَا الْجَيْشَ لَمَسَةً نُبَارِ إِلَى مَا تَشْتَهِي يَدُكَ الْيُمْنَى
فَقَدْ بَرَدَتْ فَوْقَ اللُّقَانِ دِمَاؤُهُمْ وَنَحْنُ أَنَاسٌ نَتَّبِعُ الْبَارِدَ السُّخْنَا

(١) صرَّح: برز وظهر وكشف مادة (صرح) مختار الصحاح ص ٣٦٠.

(٢) التكدس: التجمع، تكدسن: اجتمعن وركب بعضها بعضاً من كثرتها.
هنا: ههنا.

يحث الشاعر جيش المسلمين على الجهاد، عندما لمس ترددا في أوساط الجيش لخوض المعركة فانطلق يبعث الهمة ويقوى العزم.

فَتَحْنُ الْأَلَى لَا نَأْتَلِي لَكَ نُصْرَةً وَأَنْتَ الَّذِي لَوْ أَنَّهُ وَحْدَهُ أَغْنَى
يَقِيكَ الرَّدَى مِنْ يَبْتَغِي عِنْدَكَ الْعُلَا وَمَنْ قَالَ لَا أَرْضَى مِنَ الْعَيْشِ بِالْأَدْنَى

ثم يختتم الشاعر قصيدته بهذا البيت الذي يؤكد ما استنتجناه من تردد:

وَمَا الْخَوْفُ إِلَّا مَا تَخَوَّفَهُ الْفَتَى وَلَا الْأَمْنُ إِلَّا مَا رَأَاهُ الْفَتَى أَمْنًا

معركة عام ٣٤٠هـ:

قال المتنبي هذه السيفية يمدح سيف الدولة ويذكر هجوم الشتاء الذي أعاق الأمير عن غزو خرشنة.

عَوَازِلُ ذَاتِ الْخَالِ فِي حَوَاسِدُ وَإِنْ ضَجِجَ الْحَوْدُ مِنِّي لِمَاجِدُ^(١)

بدأ الشاعر قصيدته بالغزل بالنساء الجميلات، ثم تكلم عن نفسه وما بها من آلام وأحزان، ثم انتقل يتحدث عن فرسه، وكيف عرفت منزل الحبيب، ثم يقول إِنَّ مطلبه عظيم، وإذا عظم المطلوب قل من يساعده، ثم يتحدث عن كيفية اقتحامه المصاعب. بعد هذا كله ينتقل ليفتخر بأمره البطل العربي والمجاهد الكبير الذي يمثل معسكر الجهاد في سبيل الله لرفع راية التوحيد، ثم يصف الكفر والكفار فيقول إِنَّ أَشْقَى بِلَادِ اللَّهِ هِيَ الَّتِي أَهْلُهَا الرُّومُ، لذلك فَإِنَّ غَارَاتِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ عَلَى بِلَادِ الرُّومِ متلاحقة، وهدف تلك الغارات رفع راية التوحيد وإذلال راية الشرك، لقد شاع الخوف في بلاد الروم حتى بات الذي في أقصى بلادهم لا ينام خوفاً، إِنَّ هَذِهِ الْبِلَادَ صَارَتْ مَلْطَخَةً بِدَمَاءِ الْكُفَّارِ فَكَأَنَّهَا مَسَاجِدُ مَخْلُوقَةٍ، وَهُمْ كَالسَّجْدِ فِيهَا لَانْكَبَاهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ، وَأَهْلُهَا مَقْتُولُونَ مَصْرُوعُونَ فَكَأَنَّهَا مَسَاجِدُ

(١) الخود: المرأة الحسنة الخلق الناعمة، جمع خود: خود.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج١ ص ٢٦٨.

طلبت بالخلق، وكأنهم سجد وإن لم يكونوا يسجدون حقيقة، لقد جعل خيلهم كالجبال لهم يتحصنون بها، وجعل تنكيسهم عنها إزاله لهم من الجبال للقتل والأسر، وجعل مكايده فيهم كالرماح تقوم مقام الرماح التي تطعنهم بها.

وأشقى بلاد الله ما الروم أهلها بهذا وما فيها لمجدك جاحد
شنت بها الغارات حتى تركتها وجفن الذي خلف الفرنجة ساهد^(١)
مخضبة والقوم صرعى كأنها وإن لم يكونوا ساجدين مساجد
تنگسهم والسابقا جالهم وتطعن فيهم والرماح المكاييد^(٢)

إن سيف الدولة يضرب الروم ضرباً يقطع لحمهم، فيجعله هبراً، لقد هرب الروم من الأمير، وحفروا مطامير تحت الأرض ليسكنوها كما تسكن الحيات في التراب.

إن جيوش الأمير تحيط بالجبال العالية إحاطة القلائد بالأعناق، وقد أهلكت جنوده جيش الروم حين غارت عليه، وأخذت قسماً من جيش الروم أسرى حتى أبيض آمد^(٣) من كثرة الغلمان والجواري.

إن جيشك أيها المجاهد حاصر حصني الصفصاف والسابور، وهما حصنان منيعان للروم، وقد ألحقت الثاني في التخریب بالأول حتى سقط كسقوطه، وذاق الموت أهل هذين الحصنين، لأنك حرقتهما بالنار.

وتضرّبهم هبراً وقد سكّنوا الكدئ كما سكّنت بطن التراب الأساود^(٤)
وتضحى الحصون المشمخرات في الدرى وخيلك في أعناقهن قلائد

(١) الفرنجة: قرية بأقصى بلاد الروم.

ساهد: ساهر، مادة (سهد) مختار الصحاح ص ٣١٨.

(٢) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ١ ص ٢٧٣.

(٣) آمد: بلد في أول بلاد الروم.

(٤) الكدئ: جمع كدية وهي الصلبة من الأرض.

الأساود: ضرب من الحيات.

عَصَفْنَ بِهِمْ يَوْمَ اللَّقَانِ وَسُقْنَهُمْ بِهَنْزِيْطٍ حَتَّى ابْيَضَّ بِالسَّبْيِ أَمْدٌ^(١)
وَأَلْحَقْنَ بِالصَّفْصَافِ سَابُورَ فَانْهَوَى وَذَاقَ الرَّدَى أَهْلَاهُمَا وَالْجَلَامِدُ^(٢)

إنَّ غزوات سيف الدولة على بلاد الروم لا تنقطع إلا عند جمود نهر «سيحان» هذا النهر الذي يجمد ماؤه في الشتاء، فلا تفر سيوفه عن رقاب الروم إلا وقت الشتاء، وقت جمود النهر المذكور، لم يَبْقَ القتل من الروم إلا كل امرأة حماها من السيوف جمالها، وسُمره شفتيها وارتفاع نهديها.

فَتَى يَشْتَهِي طَوْلَ الْبِلَادِ وَوَقْتَهُ تَضَيَّقُ بِهِ أَوْقَاتُهُ وَالْمَقَاصِدُ
أَخَوَ غَزَوَاتٍ مَا تُغِبُّ سِيُوفُهُ رِقَابُهُمْ إِلَّا وَسَيْحَانِ جَامِدُ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ حَمَاهَا مِنَ الطُّبَا لَمَى شَفَتَيْهَا وَالثَّدْيِي النَّوَاهِدُ^(٣)

إنَّ سيف الدولة أَهْلَكَ الروم في هذه الموقعة ولم يبق منهم إلا النساء، والذي حماهن من السيوف هو أنوثتهن، ومنهن بنات البطاريق وقادة الروم، وقد أُسِرْنَ وبقي آباؤهن ييكونهن وهن مطروحات عند المسلمين لا يرغبون فيهن.

تُبَكِّي عَلَيْهِنَّ الْبَطَارِيْقُ فِي الدُّجَى وَهُنَّ لَدَيْنَا مُلْقِيَاتٌ كَوَاسِدُ^(٤)

وأخيراً يرجع ليقول في سيف الدولة: إنك أيها الأمير للملك بمنزلة الحسام لكن الضارب به هو الله جلّ جلاله، وأنت للدين لواء والله عاقد لا غيره، ويؤكد في البيت القيمة الدينية عند الشاعر.

(١) اللقان: بلد الروم وراء خرشنة.

هَنْزِيْطٌ: من الثغور الرومية.

أَمْدٌ: بلد في أول بلاد الروم.

(٢) الصَّفْصَافُ: حصن من حصون الروم.

سَابُورٌ: حصن من حصون الروم.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج١ ص ٢٧٤.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج١ ص ٢٧٥.

(٤) المصدر نفسه ج١ ص ٢٧٦.

فَأَنْتَ حُسَامُ الْمُلْكِ وَاللَّهُ ضَارِبٌ وَأَنْتَ لِوَاءِ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدٌ^(١)
وأخيراً جعل أميره بمنزلة عظيمة إذ جعله بين الملوك كالشمس والبدر وغيره
من الملوك كالنجوم الخفية.

قال أبو الفتح: «جعل أميره بالنسبة إلى أعدائه كالشمس والقمر إلى السها
والفرقدين».

أَحْبَبْتُكَ يَا شَمْسَ الزَّمَانِ وَبَذَرُهُ وَإِنْ لَامَنِي فِيكَ السُّهَاءُ وَالْفَرَاقِدُ^(٢)
معركة عام ٣٤١هـ^(٣):

لَمَّا أَتَى الدِمَسْقَ (مرعش) بعد معركة خرسنة أوقع في سورها تهديماً،
فشخص سيف الدولة سنة ٣٤١هـ لطرذ الروم، ففرق المال على أهل الثغور
الفقراء، وبنى السور فأقامه وعلاه، وبنى القلعة في شاطئ السور، وكان شخوصه
بجيش لجب يسد الفضاء ويملاً وجه الليل، ولم يكن المتنبي في تلك المعركة،
وإنما لبث في حلب، ولمّا قفل سيف الدولة من طرد الدِمَسْقِ وأغاثه المنكوبين
من أهل الثغور خرج أبو الطيب للقاءه، فلما استشرف وفد اللقاء الذي فيه
المتنبي، ترجل وصحبه للإمام بسيف الدولة كرامة أن يصلوا إليه راكبين في مكان
لقاءه، ويقول مصطفى الشكعة^(٤): «إن سيف الدولة قتل من شأن الروم سنة
٣٤١هـ فبعث لهم بالأمير الشاب الفارس أبي فراس الحمداني».

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج١ ص ٢٧٧.

(٢) المصدر نفسه ج١ ص ٢٨٠.

(٣) مصطفى الشكعة: سيف الدولة الحمداني ص ١٢٧.

أحمد صالح فاعور: الدولة الحمدانية في حلب ص ١٧٢.

زكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب ص ٢٨٢.

سامي الكيالي: سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص ٨٦.

هادي نهر: مع المتنبي في شعره الحربي ص ٢٢٠.

(٤) مصطفى الشكعة: سيف الدولة الحمداني ص ١٢٧.

وينظم المتنبي هذه القصيدة بمناسبة بناء مرعش والتي مطلعها:

فَدَيْنَاكَ مِنْ رَّبِّعٍ وَإِنْ زِدْتَنَا كَرْبًا فَإِنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالْغَرْبَا^(١)

وجد المتنبي في سيف الدولة خاصة وفي معاركه ضد الروم مثلاً للفرد العربي الشجاع المقاتل، فأطال الحديث عنه، وقد جعل أميره كفاية أمته، وهو سيف عند أعدائها، وعقل واع يحقق لأمته طموحاتها، وهو عربي من ولد نزار فالخوف منه أولى من الخوف من سيوف الحديد.

تُهَابُ سُيُوفِ الْهِنْدِ وَهِيَ حَدَائِدُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَّةً غُرْبَا^(٢)

إن سيف الدولة عالم أديب، عالم بخفيات الديانات، وهو يعلم منها ومن اللغات ما لا يعلمه غيره، وله خواطر في العلم تفضح العلماء وكتبهم لأنهم لم يبلغوا في العلم ما يجري على خاطره.

عَلِيمٌ بِأَسْرَارِ الدِّيَانَاتِ وَاللُّغَى لَهُ خَطَرَاتُ تَفْضُحُ النَّاسَ وَالْكُتُبَا^(٣)

إن سيف الدولة مسلم مؤمن بالله وهو من حزب الله، يعمل من أجل تطبيق حكم الله، من أجل انتصار الحق على الباطل، انتصار الإيمان على الكفر.

هَنِيئًا لِأَهْلِ الثَّغْرِ رَأْيُكَ فِيهِمْ وَأَنْتَ حِزْبُ اللَّهِ صِرْتَ لَهُمْ حِزْبَا^(٤)
وهذه هي مآثرك أيها الأمير المجاهد.

فَيَوْمًا بِخَيْلٍ تَطْرُدُ الرُّومَ عَنْهُمْ وَيَوْمًا بِجُودٍ يَطْرُدُ الْفَقْرَ وَالْجَدْبَا^(٥)

حروب وقتال وظفر مؤكد، ونجدة كريمة، وعون وكرم يقضيان على الفقر وينبتان الخير والبركة.

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج١ ص ٥٦.

(٢) المصدر نفسه ج١ ص ٦١.

(٣) المصدر نفسه ج١ ص ٦٢.

(٤) المصدر نفسه ج١ ص ٦٢.

(٥) المصدر نفسه ج١ ص ٦٣.

المتنبى شاعر مسلم صادق الإحساس في شعره، يصور المعارك التي تدور بين معسكر المؤمنين ومعسكر الكفر أصدق تصوير، فهو عبارة عن وسيلة إعلام في لغة اليوم، فهو يصف الحرب وانتصار المسلمين على الروم بأنه يدرّ على البلاد الخير والبركة، يصف فرق المجاهدين تتوالى على المعركة، وتنكشف المعركة عن العدو فإذا هو على أسوأ حال، حيث هرب القائد، وترك جنده قتلى وأمواله نهبي.

تقدم جيش المسلمين بقيادة المجاهد سيف الدولة نحو مرعش، فلما أتى هذا الثغر أتاه مسروراً، فالبعيد عليه قريب لنشاطه، فلما أقبلت إليه أدبر منهزماً، فالقريب عليه بعيد لخوفه، وما لحقه من الذعر، ففي إقباله أتى مسروراً، كأن الأرض تطوى له، فلما أدبر طالت عليه الطريق.

إن قائد الروم كان باللقان، فلما أقبل سيف الدولة، انهزم ذليلاً، انهزمت جموع جيش الكفر بعدما تشاجرت الرماح ساعة، كما تختلط الأهداف الأعالي بالأسافل عند القوم.

انهزم القائد الرومي وبالأحرى هرب، وبقي من دهشته لا يدري ما يصنع فكان يلمس جنبه، هل يجد روحه بين جنبيه من الذهول والفرع.

انهزم القائد وترك وراءه العذارى والبطاريق والرهبان والقرايين ولم يلتفت إليهم لهول ما رأى.

سَراياكَ تَتَرى ^(١) والذُّمُّسْتُقُ هارِبٌ	وأَصْحابُهُ قَتلى وأموالُهُ نُهبى
أتى مَرْعَشا ^(٢) يَسْتَقْرِبُ البُعْدَ مُقْبِلاً	وأَدْبَرَ إِذْ أَقْبَلْتَ يَسْتَبْعِدُ القُرْبَا
كذا يَتَرُكُ الأعداءَ مَنْ يَكْرَهُ القَنّا	ويَقْفِلُ مَنْ كَانَتْ غَنيمَتُهُ رُعبا
وهَلْ رَدَّ عَنْهُ باللقانِ وقُوفُهُ	صُدُورَ العوالي والمُطَهَّمَةِ القُبّا ^(٣)

(١) تترى: متتابعة قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾. مادة (وتر) ص ٧٠٧ مختار الصحاح.

(٢) مرعش: حصن بيلد الروم من أعمال ملطية.

(٣) اللقان: ثغر بيلد الروم.

المطهم: الفرس الذي يحسن منه كل شيء على حدته والقب: جمع أقب وهو الصفا والبطن.

مَضَىٰ بَعْدَ مَا التَّفَّ الرِّمَاحُ سَاعَةً كَمَا يَتَلَقَّى الْهُدْبُ فِي الرَّقْدَةِ الْهُدْبَا^(١)
وَلَكِنَّهُ وَلَّى وَلِلطَّغْنِ سَوْرَةٌ^(٢) إِذَا ذَكَرَتْهَا نَفْسُهُ لَمَسَ الْجَنْبَا
وَحَلَّى الْعِذَارَى وَالْبَطَارِيقَ وَالْقُرَى وَشُعْتُ النَّصَارَى وَالْقَرَابِينَ وَالصُّلْبَا^(٣)

ثم يصور لنا الشاعر الجبان ويقصد به قائد الروم، والشجاع ويقصد الأمير سيف الدولة، فيقول إن الجبان يتقي الحرب حباً لنفسه، والشجاع يرد الحرب دفعاً عن مهجته ومحاماة عن نفسه، والشجاع مهيب لا يهجم عليه أحد، والجبان يعتدى عليه.

فَحُبُّ الْجَبَانِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ التُّقَى وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ الْحَرْبَا
وَيَخْتَلِفُ الرَّزْقَانِ وَالْفِعْلُ وَاحِدٌ إِلَى أَنْ يُرَى إِحْسَانُ هَذَا لَذَا ذَنْبَا

بعد ذلك يبين لنا الشاعر مكانة سيف الدولة من الخلافة حيث يقول: إن الخلافة سمته دون الناس بسيف دولتها، أعدته لأمر من الأمور، وذلك لأنه بلغ من الشجاعة والحزم والسياسة مبلغاً لم يبلغه أحد وأي شيء أهم من قتال الكفار الروم والانتصار عليهم.

لَأْمُرَ أَعْدَتُهُ الْخِلَافَةَ لِلْعَدَى وَسَمَتُهُ دُونَ الْعَالَمِ الصَّارِمِ الْعَضْبَا^(٤)
وأخيراً يوضح رسالة سيف الدولة في الحرب بأنه كريم مؤمن يرضى المكارم بجوده ويرضى الله تعالى بجهاده في سبيل الله.

(١) الرماحان: يقصد رماح الفريقين.

الهدب: أشعار العين مادة (هدب) ص ٦٩٢ مختار الصحاح.

(٢) السورة: الارتفاع.

(٣) العذارى: جمع عذراء وهي البكر من النساء.

البطاريق: جمع بطريق وهم أمراء الجيش وفرسانه.

شعث النصاري: الرهبان.

القرايين: خواص الملك.

العكيري: التبيان في شرح الديوان ج ١ ص ٦٤.

(٤) المصدر نفسه ج ١ ص ٦٨.

فَمَنْ كَانَ يُرْضِي اللّٰهَ وَالْكَفَرَ مُلْكُهُ فهذا الذي يُرْضِي المكارمَ والرَّبا^(١)
خواطر وأحداث وشعر يطلقه المتنبي صافياً معبراً، يحمل النبرة اللاهبة
والتجاوب الصادق، ويظل مع التاريخ قوياً حياً لأن الشاعر رفع من مستوى
التاريخ إلى ذروة الخلق المبدع.

حوادث ٣٤١هـ^(٢):

كان ملوك الروم في تاريخ حروبهم مع المسلمين يطلبون منهم الهدنة أو
الفداء أو تبادل الأسرى، وتدفعهم في ذلك أسباب من فتن السياسة التي كانت تقع
في القسطنطينية، ومن ضعف الجيوش البيزنطية، أو اختلاف قادتها، أو لوجود
كثرة في الأسرى، وقد يطلب المسلمون الفداء أو تبادل الأسرى وقد يطلبون
الهدنة.

وقد حصلت المفاداة والهدنة بعد أن أرسل ملك الروم وفداً إلى سيف الدولة
عقب معركة خرشنة وسرية مرعش، أقبل رسول ملك الروم في آخر سنة ٣٤١هـ
في سبيل الفداء، فاستقبله سيف الدولة في حفل ضخم، يريد أن يلقي الرعب في
نفسه، وجاء غلمان الأمير بلبؤة مقتولة فألقوها في طريق الفداء ومن حولها
أشبالها أحياء، وأقبل المتنبي لينشد قصيدته التي أعدها للحفل فلما رأى اللبؤة
وأشبالها ارتجل هذه الأبيات.

لَقِيتَ الْعُقَاةَ بِأَمَالِهَا وَرُزْتَ الْعُدَاةَ بِأَجَالِهَا
وَأَقْبَلْتَ الرُّومَ تَمْشِي إِلَيْكَ بَيْنَ اللَّيْثِ وَأَشْبَالِهَا
إِذَا رَأَتْ الْأَسَدَ مَسِيَّةً فَأَيْنَ تَفَرُّ بِأَطْفَالِهَا^(٣)

ثم قام بعد ذلك بين يدي الأمير فأنشد القافية التي هيأها لهذا المقام ومطلعها:

-
- (١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج١ ص ٦٩.
(٢) كامل العبد الله: شعراء من الماضي ص ٢٦٩-٢٧١.
(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٣ ص ٩٢-٩٣.

لَعَيْنَيْكَ مَا يَلْقَى الْفُؤَادُ وَمَا لَقِيَ وَلِلْحَبِّ مَا لَمْ يَبْقَ مِنِّي وَمَا بَقِيَ^(١)
وبعد مقدمة طويلة تحدث فيها الشاعر عن المعارك الحربية التي تدور رحاها
بين الروم البيزنطيين من جهة وبين المجاهدين المسلمين من جهة ثانية خاطب
سيف الدولة قاتلاً له:

لما علم ملك الروم طربك وميلك إلى الكرم، خضع لك السائل، فخلّى
الرماح، ورجع صاغراً إلى ما طلبته منه.

إنك أيها الأمير الشجاع لا تحارب إلا شجاعاً، لذلك كاتبك من بُعد يطلب
الهدنة والصلح، لأن أرضه وإن كانت بعيدة لكنها قريبة على خيلك، «لقد أقبل
رسول ملك الروم يمشي إليك بين السّماطين، فتصور له منك البحر في السّخاء
والبدر في العلاء، فلم يدر أيهما يمشي، فغشيته من هيئته، وملاً قلبه من جلالته،
ما لا يعرض مثله إلا لمن قصد مُصمماً إلى البحر، وارتفع مرتقياً إلى البدر، يعظم
ما عاين من هيئته»^(٢)، ثم يقول: إن أعطيته مطلوبة من الأمان فقد أذعن ملك
الروم بطاعتك وصرح بمسألتك، وإن نعطه حد السيف غير قابل لمسألته، ولا
مسعف لرغبته فما أخلقك بذلك، لأنه كافر حربي وعادتك لا ترحمهم.

رَأَى مَلِكُ الرُّومِ ارْتِيَا حَكَ لِلتَّدِي فَقَامَ مَقَامَ الْمُجْتَدِي الْمُتَمَلِّقِ^(٣)
وخلّى الرّماح السّمهرية^(٤) صاغراً
وكاتب من أرض بعيد مرامها قريب على خيل حوالتك سبق

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٢ ص ٣٠٤.

(٢) المصدر نفسه ج٢ ص ٣١٢.

(٣) الارتياح: الطرب.

المجتدي: السائل.

المتملق: الذي يخضع ويلين كلامه.

(٤) السمهرية: منسوبة إلى سمهر ازوج ردينة، كانا يقومان الرماح. مادة (سمهر) مختار الصحاح
ص ٣١٥.

والسمهر: الرمح الصلب العود.

وَقَدْ سَارَ فِي مَسْرَاكَ^(١) مِنْهَا رَسُولُهُ
 فَلَمَّا دَنَا أَخْفَى عَلَيْهِ مَكَانَهُ
 فَأَقْبَلَ يَمْشِي فِي الْبَسَاطِ فَمَا دَرَى
 وَلَمْ يَشْكُ الْأَعْدَاءُ مِنْ مُهْجَاتِهِمْ
 وَكُنْتَ إِذَا كَاتَبْتَهُ قَبْلَ هَذِهِ
 فَإِنْ تُعْطِيهِ مِنْكَ الْأَمَانَ فَسَائِلُ
 وَهَل تَرَكَ الْبَيْضُ الصَّوَارِمُ مِنْهُمْ

فَمَا سَارَ إِلَّا فَوْقَ هَامٍ مُفْلَقِ
 شُعَاعُ الْحَدِيدِ الْبَارِقِ الْمَتَّاقِ
 إِلَى الْبَحْرِ يَمْشِي أَمْ إِلَى الْبَدْرِ يَرْتَقِي؟
 بِمَثَلِ خُضُوعٍ فِي كَلَامٍ مُنَمَّقِ
 كَتَبْتَ إِلَيْهِ فِي قَذَالِ^(٢) الدَّمْسُتَقِ
 وَإِنْ تُعْطِيهِ حَدَّ الْحُسَامِ فَأَخْلِقِ
 أَسِيرًا لِفَادٍ أَوْ رَقِيقًا لِمُعْتَقِ^(٣)

معركة الثغور عام ٣٤٢هـ^(٤):

في هذا العام أَصَرَ العدو أن يَثَارَ لنفسه فكمن بجيش كثيف عند «مَوْزار» وبحيلة بارعة من سيف الدولة سحب جيش البيزنطيين إلى مكان يصلح أرضاً للمعركة، والتحم الفريقان في حرب ضروس، انتصر فيها المسلمون على الروم انتصاراً باهراً، وظل الجيش الإسلامي يضرب في الروم باسطاً سلطانه على «سمنين» و«حصن الران» وغيرهما من المواقع، فانتهاز العدو هذه الفرصة وأغار على بعض أطراف الدولة الإسلامية، فبلغ سيف الدولة الذي انطلق إليه وأدركه عند نهر «جيجان» وكانت معركة رهيبة، جرح فيها القائد البيزنطي «برداس فوكاس» وأسر ابنه «قسطنطين».

(١) المسرى: الموضع الذي يسار فيه بالليل. مادة (سرى) مختار الصحاح ص ٢٩٧.

(٢) قذال: مؤخر الرأس: مادة (قذل).

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ٣ ص ٣١١-٣١٣.

(٤) زكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب ص ٢٨٥.

هادي نهر: مع المتنبي في شعره ص ١٥٣.

طه حسين: مع المتنبي ص ٢٢٨.

مصطفى الشكعة: سيف الدولة الحمداني ص ١٢٨.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ٣ ص ٩٥.

كانت هذه الهزيمة شديدة الوقع على القائد البيزنطي، فلم يتحمل إهانتها ولذلك دخل الدير مترهباً، وانتهز شعراء سيف الدولة هذه الحادثة فقالوا شعراً كثيراً يصور المعركة وفي هذه المناسبة قام شاعرنا الأكبر المتنبي ونظم هذه القصيدة التي مطلعها:

ليالي بَعْدَ الظاعنين شُكُولُ طِوَالٍ وَلَيْلُ العاشقين طَوِيلُ

إن هذه القصيدة من قصائد المتنبي الخالدات^(١) في وصف معارك المسلمين ضد الروم، في هذه المعركة عَبَرَ سيف الدولة الفرات إلى «دلوک» إلى قنطرة «صنجة» إلى «درب القلعة» فشَنَّ الغارة فعطف عليه العدو فقتل كثيراً منهم ورجع إلى «ملطية» حتى ورد الفرات، فتواردت إليه أنباء دخول الروم في بعض الأطراف الإسلامية.

لقد عدَّ طه حسين^(٢) هذه القصيدة من أروع ما قال المتنبي في سيفياته من الشعر، إن الحوادث تجري في حركة ملحمة قوية، وكل نكسة من نكسات هذه الحملة بارزة بشكل تفنت فيه قريحة الشاعر المصور، فترى فيالق الأمير تغطي الجبال في منطقة دلوک وصنجة ونلمح انقضاضها على العدو. وانتحاب المأسورات وهنَّ يمزقن ثيابهن في حرقة، والانسحاب المعرقل في درب الموزار والرجوع إلى ملطية التي تضرم فيها النيران ويسال الدم، واجتياز «قباqb» التي تسحقها كراديس الخيل، وعبور الفرات الذي فزع من هذه السيول البشرية المنقضة عليه، والمذابح الجديدة في هنزبط، ووصول الجيوش المنهكة إلى حصن الران في ديار الإسلام، تلك الجيوش التي أدركها الإعياء من شدة الزحف، ثم يعود الزحف إلى سيرته الأولى في القطر المضطرب الذي يمتد من هناك إلى سُمَيْسَاطَ وَيَزْحَفُ الجيش ليلاً ونهاراً، إذ ينبغي عليه مdahمة العدو العائد من سورية مثقلاً بالأسرى.

(١) هادي نهر: مع المتنبي في شعره الحربي ص ١٥٣.

(٢) طه حسين: مع المتنبي ص ٢٣٨.

وتدور المعركة قرب «مرعش» وتحقيق الهزيمة بالروم، ويتعقب سيف الدولة قاداتهم وتحطم ضرب السيوف بيض رؤوسهم، وأخيراً يبدو الدمستق مقهوراً منتحياً مدمى لأنه جرح في وجهه جرحاً وآخر في قلبه أبلغ وأعمق وذلك لتركة ولده قسطنطين إلى خطية العرب المسلمين.

يبدأ شاعرنا قصيدته بغزل جميل فيه حنان ورقة، ثم يصف رحيل حبيبته والفراق الذي حل محل الوصال، بعد ذلك يلمح في الشكوى، ويخلص بعد ذلك من هذه الغزلية الرقيقة المزدحمة بالألوان البهية لكي يمدح سيف الدولة ذاكراً موقعته مع الروم.

إن المتنبي حريص كل الحرص في كل شعره الحربي أن يذكر الخيل ويصفها أوصافاً مختلفة وهو المولع فيها العارف بحقيقة صفاتها، فرسمها وقد رمى سيف الدولة درب الروم إلى العدى، فانطلقت وكأنها السهام، ومضت وهي تغذ الركض رافعة أذنانها، وهي في مرح وصهيل تحت الفرسان إلى أن كبست الروم فما شعروا حتى رأوها تمطرهم بالحديد وتظلمهم بالسيوف.

رَمَى الدَّرْبَ بِالْجُرْدِ^(١) الْجِيَادِ إِلَى الْعَدَا
وَمَا عَلِمُوا أَنَّ السَّهَامَ خِيُولُ
شَوَائِلَ^(٢) تَشَوَّلَ الْعُقَارِبَ بِالْقَنَا
لَهَا مَرَحٌ مِنْ تَحْتِهِ وَصَهِيلُ
وَخَيْلٌ بَرَاهَا الرُّكُضُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا عَرَسَتْ فِيهَا فَلَيْسَ تَقِيلُ^(٣)

إن خيول المسلمين قد انتهت إلى آخر السهل عند «دلوكة» و«صنجة» وإذا هي تصعد مرتقية في الجبال، وإذا هي تبلغ قمم الأطواد فتزحمها بنفسها وحركاتها، كما تملأ الجو الرايات والأعلام، والعدو مع كل هذه ساء لاه لا يعرف ما دُبِّرَ له.

(١) الجرد: الخيل التي شعر جلدها قصير، مادة (جرد) لسان العرب المعكوس جـ ١ ص ٤٣٢.

(٢) شوائل: الخيل التي ترفع أذنانها عند الجري وهو دليل على قوتها. في لسان العرب ص ٣٨٤: سالت الناقة ذنبها تشوله شولاً أي رفعت.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ ٣ ص ٩٩-١٠٠.

فَلَمَّا تَجَلَّى مِنْ دُلُوكَ وَصَنَجَةٍ عَلَتْ كُلَّ طَوْدٍ^(١) رَايَةً وَرَعِيلُ
عَلَى طُرُقٍ فِيهَا عَلَى الطَّرِيقِ رِفْعَةٌ وَفِي ذِكْرِهَا عِنْدَ الْأَنَيسِ خُمُولُ^(٢)

ثم يأتي إلى مباغته الجيش الإسلامي لقوات الروم واكتساحها، فكانت خيول المسلمين قبيحة في أعين الروم لسوء فعلها بهم، وهي مع ذلك جميلة الخلق وقد اندفعت بكلماتها كالسحاب لما فيها من برق الأسلحة، وصياح الأبطال تصب الموت على الأعداء، وتمطرهم بالسيوف والأسنة فتغسل كل مكان بما تسفكه من الدماء.

فَمَا شَعَرُوا حَتَّى رَأَوْهَا مُغِيرَةً قَبَاحاً وَأَمّاً خَلَقُهَا فَجْمِيلُ
سَحَابٌ يُمِطُّرُنَ الْحَدِيدَ عَلَيْهِمْ فَكُلُّ مَكَانٍ بِالسُّيُوفِ غَسِيلُ^(٣)

وانجلت المعركة عن انتصار المجاهدين المسلمين، وانسحاب جيش الكفر الروم مخلفين قتلاهم وعدتهم التي غنمها المجاهدون، وعادوا بها، وفي طريق العودة اعترضهم الروم من جديد، ودارت بين الفريقين معركة ثانية، اندفع خلالها المجاهدون المسلمون نحو ملطية فاكتسحوها.

وَعَادَتْ فَظَنُّوْهَا بِمَوْزَارٍ قُفْلًا وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الدُّخُولُ قُفُولُ
تُسَايِرُهَا النَّيْرَانُ فِي كُلِّ مَسَلِكٍ بِهِ الْقَوْمُ صَرَعَى وَالْدِّيَارُ طُلُولُ
وَكَزَتْ فَمَرَّتْ فِي دِمَاءِ مَلْطِيَّةٍ مَلْطِيَّةُ أُمِّ لِلْبَيْنِ نَكُولُ^(٤)

وما أبدع تصوير المتنبي لاندفاع جيش المسلمين نحو الفرات وعبوره، فيرسم لنا الشاعر وهو في غمرة وصف زحف جيوش الأمير، وبصورة تأخذ بالبابنا السرعة الصاعقة لهذه الكتائب الخفيفة التي تنقض على العدو فتسحقه، رغم تفوق العدو واندفاعها نحو النهر مثيرة فيه الفزع فكأنها تنحدر عليه سيولاً بالرجال، وكأن الموج يجفل عند قوائم الخيل ويجري أمامه وهي تتبعه:

(١) طود: الجبل. مادة (طود) مختار الصحاح ص ٣٩٩.

(٢) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ٣ ص ١٠٠.

(٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٠١.

(٤) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٠٢.

وأَضَعْنَ مَا كُفَّنَهُ مِنْ قُبَابٍ فأَضْحَى كَأَنَّ الْمَاءَ فِيهِ عَلِيلُ
وَرُغْنَ بِنَا قَلْبَ الْفُرَاتِ كَأَنَّمَا تَخِرُّ عَلَيْهِ بِالرَّجَالِ سِيُولُ
يُطَارِدُ فِيهِ مَوْجَهُ كُلُّ سَابِحٍ سَوَاءٌ عَلَيْهِ غَمْرَةٌ وَمَسِيلُ
تَرَاهُ كَأَنَّ الْمَاءَ مَرَّ بِجَسْمِهِ وَأَقْبَلَ رَأْسُ وَحْدَهُ وَتَلِيلُ^(١)

بعد ذلك يصف الشاعر المواقع التي جرت في «هنزيط» و«سمنين» فكانت الخيل تبيد الأعداء، وكانت الحصون لطول ما ملّت التّزال تلقى إلى جيش سيف الدولة بأهلها، لقد اندفع جيش المسلمين نحو حصن الروم في أرض وعرة، فاكتسحها واحداً واحداً، ثم يذكر الشاعر مراحل أخرى من الفتوح والقتال في حصن الرّان فسميساط، وعند مرعش تدور الدائرة على جيش الروم:

وَفِي بَطْنِ هِنْزِيْطٍ وَسَمْنِيْنَ لِلطُّبَا وَصُمَّ الْقَنَا مِمَّنْ أَبْدَنَ بَدِيلُ
وَبَتْنَ بِحِصْنِ الرّانِ رُحَى مِنْ الْوَجَى وَكُلُّ عَزِيْزٍ لِلأَمِيْرِ ذَلِيلُ
وَدُونَ سَمِيْسَاطَ الْمُطَامِيْرِ وَالْمَلَا وَأَوْدِيَّةَ مُجْهَوْلَةٍ وَهُجُولُ
لِسِنَّ الدَّجَى فِيهَا إِلَى أَرْضِ مَرْعَشٍ وَلِلرُّومِ خَطْبُ فِي الْبِلَادِ جَلِيلُ^(٢)

بعد أن تعب الشاعر من هذه الغزوات المتلاحقة السريعة، لم يجد بداً من أن يترك غبار المعركة وقعقة السلاح، وصليل السيوف، وصهيل الخيول، وعبور الأنهار واقتحام الحصون وتسلق القمم، لكي يفيء إلى ظلّ شجرة يستريح إلى جانب غصن لكي يُصوّر الجانب النفسي والسياسي من المعركة ويخلص إلى أميره الذي لم يذكره بشخصه إلا ببضعة أبيات لأنه انشغل بنفسه، وبالجيش الذي يرافقه.

يلتفت الشاعر إلى سيف الدولة ويصفه بما يوصف به عظماء المجاهدين من أن الرماح عنه قصيرة والسيوف عنه كليلة لا تؤثر فيه، وهو جواد بماله وبخيّله وبيجنده، لا يوردهم موارد الهلاك، وإنما يدفعهم إلى حيث مواكب النصر ومواقع

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ٣ ص ١٠٢-١٠٣.

(٢) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٠٣-١٠٤.

الظفر، ثمَّ يتعرض الشاعر لأهم ما حدث في المعركة وهو أسر قسطنطين ابن الإمبراطور القائد ويتوعده بالعودة ويتهكم عليه في سخرية لازعة وأَنَّهُ هرب جريحاً وترك ابنه أسيراً.

فلما رأوه وَحْدَهُ قَبْلَ جَيْشِهِ دَرَوْا أَنَّ كُلَّ الْعَالَمِينَ فُضُولُ
وَأَنَّ رِمَاحَ الْخَطِّ عَنْهُ قَصِيرَةٌ وَأَنَّ حديدَ الْهِنْدِ عَنْهُ كَلِيلُ^(١)
فَأَوْرَدَهُمْ صَدْرَ الْحِصَانِ وَسَيْفُهُ فَتَى بِأَسْهُ مِثْلُ الْعَطَاءِ جَزِيلُ
جَوَادٌ عَلَى الْعَلَاتِ بِالْمَالِ كُلِّهِ وَلَكِنَّهُ بِالذَّارِعِينَ بِخِيلِ
فَوَدَّعَ قَتْلَهُمْ وَشَيَّعَ فَلَّهُمْ بَضْرِبِ حُزُونِ الْبَيْضِ فِيهِ سُهُولُ
عَلَى قَلْبِ قَسْطَنْطِينَ مِنْهُ تَعَجُّبٌ وَإِنْ كَانَ فِي سَاقِيهِ مِنْهُ كُبُولُ
لَعَلَّكَ يَوْمًا يَا دُمُسْتُقُ عَائِدٌ فَكَمْ هَارِبٍ مِمَّا إِلَيْهِ يَزُولُ
نَجَوْتُ بِإِحْدَى مُهْجَتَيْكَ جَرِيحَةً وَخَلَفْتَ إِحْدَى مُهْجَتَيْكَ تَسِيلُ
أَتُسَلِّمُ لِلْخَطِيئَةِ ابْنَكَ هَارِبًا وَيَسْكُنُ فِي الدُّنْيَا إِلَيْكَ خَلِيلُ^(٢)

والحق أن هذه القصيدة تُعدّ من أجمل ما قال المتنبي، ولعل من أسباب روعتها أنه جعل من الخيل أبطالاً لقصة المعركة وإلى آخرها فأظهرها على مسرح القصيدة ووصفها في الصف الأول ووضع الجنود بين السطور وخلف النار^(٣) وعدّها طه حسين^(٤) من أروع ما قاله المتنبي وقال عنها هادي نهر^(٥) من القصائد الخالدات.

-
- (١) الخط: قال الجوهري: الخط باليمامة، وهو خط هجر، تنسب إليه الرماح الخطية. قال ابن سيده: الخط سيف البحرين وعمان وقيل إن كل سيف خط وقيل الخط مرفأ السفن بالبحرين تنسب إليه الرماح. مادة (خط) لسان العرب ج١ ص ٨٥٩.
كليل: لا يقطع. مادة (كليل) مختار الصحاح ص ٥٧٦.
(٢) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٣ ص ١٠٤-١٠٦.
(٣) مصطفى الشكعة: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ص ٤٠٤.
(٤) طه حسين: مع المتنبي ص ٢٣٨.
(٥) هادي نهر: مع المتنبي في شعره الحربي ص ١٥٣.

معركة عام ٣٤٢هـ:

قال المتنبي يمدح سيف الدولة ويهتته بعيد الأضحى، لم يدع أبو الطيب ذكرى معركة الثغور الكبرى سنة ٣٤٢هـ التي وقعت في بلاد كثيرة من الثغور.

فقد ردد هذه الذكرى حين هنا سيف الدولة بعيد الأضحى، إذ أنشده في ميدان حلب وتحت دار سيف الدولة وهما على فرسيهما قصيدة التهئة بالعيد والنصر التي مطلعها:

لُكِّلَ امْرِيءٌ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا وعاداتُ سيفِ الدولة الطَّعْنُ فِي الْعِدَا^(١)

وصف المتنبي ابن الدمستق الذي وقع في الأسر كأنه قد مات وقد عاش أبوه لفراره ونجاته، وشرح أبو الطيب في هذه القصيدة أيضاً أن الجيش كله قد وقع في الأسر، وأن «برداس» الهارب لم يجد له عزاء سوى لبس المسوح التي يلبسها الرهبان والاعتكاف في الدير، وكان ذلك دأب القادة البيزنطيين حين يخسرون الحروب فيلجأون إلى الديارات للسلوى^(٢)، صوّر أبو الطيب كل ذلك وخلع على فنه فيه مسحة تهكم حيث وصفه بأنه أصبح يتوكأ على عكاز يطوف في جنبات الدير في حسرة بادية وذلة وانكسار بعد أن كان يتمنطق بالسيف ويتشع بالدرع مصطنعاً الكرّ والفرّ على الجياد، ثم يذكر الشاعر أن هذا الترهيب ليس بمنجيه من بطش الأمير:

لِذَلِكَ سَمَى ابْنُ الدُّمُسْتَقِ يَوْمَهُ مَمَاتًا وَسَمَاهُ الدُّمُسْتَقُ مَوْلِدَا
سَرِيتُ إِلَى جَيْحَانٍ مِنْ أَرْضِ آمِدٍ ثَلَاثًا لَقَدْ أَدْنَاكَ رَكْشٌ وَأَبْعَدَا
فَوَلَّى وَأَعْطَاكَ ابْنَهُ وَجِيوشَهُ جَمِيعًا وَلَمْ يُعْطِ الْجَمِيعَ لِيُحْمَدَا
عَرَضْتَ لَهُ دُونَ الْحَيَاةِ وَطَرْفِهِ وَأَبْصَرَ سَيْفَ اللَّهِ مِنْكَ مُجَرَّدَا

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج١ ص ٢٨١.

(٢) زكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب ص ٢٨٧.

وما طَلَبْتَ زُرُقَ الْأَسِنَّةِ^(١) غَيْرَهُ ولكنَّ قسطنطينَ كانَ لَهُ الْفِدا
فأَصْبَحَ يَجْتَابُ الْمَسُوحَ مَخَافَةً وقد كانَ يَجْتَابُ الدَّلَاصَ الْمُسَرِّداً^(٢)
وَيَمْشِي بِهِ الْعُكَّازُ فِي الدَّيْرِ تَائِباً وما كانَ يَرْضَى مَشْيَ أَشَقَرٍ أَجْرَدَا
وما تابَ حتَّى غادَرَ الْكَرَّ وَجْهَهُ جريحاً وخَلَّى جَفَنَهُ النَّقْعُ أَرْمَدَا
فلو كانَ يُنْجِي منَ عَلِيٍّ تَرْهُبُ تَرَهَّبَتِ الْأَمْلاكُ مَثْنَى وَمَوْحِداً^(٣)

ثم يهنئ الشاعر الأمير بالعيد الذي يفرح به الناس فيقول له :

إنَّكَ عيدَ لكلِّ الناسِ ، الناسَ تفرحُ بسلامتكِ ، والعيدُ يفرحُ بوصولهِ إليك ، فأنتَ
عيده ، أي تحلِّ فيه محلَّ العيد ، فأنتَ أيها الأمير عيد كل مسلم مؤمن مجاهد .
هنيئاً لك العيدُ الذي أنتَ عيدهُ وعيدٌ لَمَنْ سَمَى وَضَحَّى وَعَيْداً^(٤)
ثم يهاجم خليفة المسلمين في بغداد تصريحاً لا تلميحاً ويرسل إليه نذيراً لا
لبس فيه ، وذلك لأنه يرى بطله يقضي حياته في جهاد الكفار بينما هو قابع لا
يملك من نفسه شيئاً .

فيا عَجَباً منَ دائِلٍ أنتَ سِفْهُ أما يَتَوَقَّى شَفَرَتِي ما تَقَلِّداً
ومن يَجْعَلِ الضَّرغامَ بازاً لِصَيْدِهِ يُصَيِّرُهُ الضَّرغامَ فيما تَصَيِّداً^(٥)
في هذه القصيدة يظهر النضج الفني لدى الشاعر ، وخصب الشاعرية لذلك
ترى كثيراً من أبيات القصيدة حكماً متلاحقة .

(١) الأسنة : جمع سن وهو الزج الذي في أسفل الرمح .

(٢) المسوح : جمع مسح وهو ما ينسج من الشعر يقطعها ويدخل فيها من خوفه منك ، الكساء
من الشعر . مادة (مسح) لسان العرب ص ٤٨ .

المسرد : المنظوم المنسوج بعضه في بعض . مادة (سرد) لسان العرب ج ٢ ص ١٣٠ .

الدلاص : الدروع الصافية البارقة . مادة (دلص) لسان العرب ج ١ ص ١٠٠٧ .

(٣) العكبري : التبيان في شرح الديوان ج ١ ص ٢٨٣-٢٨٥ .

(٤) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٨٥ .

(٥) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٨٧ .

معركة الحدث^(١) سنة ٣٤٣هـ^(٢) :

حصن الحدث هو أحد المنافذ إلى بلاد الروم، كان الروم قد ضربوه سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة حتى لا يكون شوكة في ظهورهم، فصمم سيف الدولة في سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة على إعادة بنائه، ووضع الأساس بيده، وبينما هو قائم على البناء، إذ القائد الرومي «نقفور فوكاس» يرميه بجيش عدته خمسون ألفاً من الرجال والفرسان فيهم البلغار والأرمن، وكان معه ابنه «تيسفور فوكاس» ولم يكن مع سيف الدولة سوى بضع مئات من فرسان قيل خمسمائة من حرسه الخاص.

احتدمت المعركة وغلبت الفئة القليلة الفئة الكثيرة، بل لقد دمرتها تدميراً إذ سقط في الميدان ثلاثة آلاف من الروم، ووقع كثير من البطارقة أسرى، وكان ممن سفك دمه ابن بنت «برداس» وصهره، أما هو فقد فرّ بجلده.

لقد كان قائد الروم «فوكاس» وقد اصطحب معه البطارقة ومنهم «تودس الأعظم» صهر الدمستق، وكان يتقدمهم الصليب، وكان هدفهم الانتقام من الأمير المجاهد سيف الدولة.

كان المتنبي مرافقاً لسيف الدولة في هذه المعركة، وأبلى بلاء حسناً، حتى إذا انتهت نهايتها المظفرة الرائعة، وقف بين يدي الأمير ينشده هذه السيفية الخالدة، وقد بلغ فيها الذروة في التعبير عن بطولة أميره وفرسانه الشجعان، وإحساس المسلمين العميق بالعداء المستعمر بينهم وبين الروم.

(١) الحدث: قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور، ويقال لها الحمراء لأن تربتها جميعاً حمراء، وقلعتها على جبل يقال له الأحيذب. معجم البلدان: الحموي ج٢ ص ٢٢٧.

(٢) مصطفى الشكعة: سيف الدولة الحمداني ص ١٢٨، ٢٧٦.

زكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب ص ٢٧٦.

سامي الكيالي: سيف الدولة الحمداني ص ٨٧-٨٨.

أحمد صالح فاعور: الدولة الحمدانية ص ١٦٥.

بدأ الشاعر هذه القصيدة الجهادية بأبيات حماسية تناسب جو المعركة ذاكراً
العظماء وما يأتونه من عظام الأمور .

على قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ^(١)
ثم يتعرض لذكر الموقعة، ويصفها بالحمراء من كثرة الدم الذي صبغ أرضها
من جنود الروم، وكيف أن السماء كانت تُمطر عليها الجماجم بدلاً من المطر،
وكيف بناها سيف الدولة وقد اضطرت السيوف وتقارعت القنا، وأحاط بها
الفناء، وظلمتها المنايا كأنها البحار الزاخرة الغائرة، وكانت قبل ذلك مجنونة لما
يصيب المسلمين من أهلها من ظلم الروم، فهذا سيف الدولة من جنونها يتمائم
كتبها لها، ولم تكن تلك التماثل إلا جثث الظالمين .

هَلْ الْحَدُثُ الْحَمْرَاءُ تُعْرِفُ لَوْنَهَا وَتَعْلَمُ أَيُّ السَّاقِيَيْنِ الْغَمَائِمُ
سَقَتْهَا الْغَمَامُ الْغَرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَتْهَا الْجَمَائِمُ
بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا تَفَرَّعُ الْقَنَا وَمَوْجُ الْمَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلَاطِمُ
وَكُنَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ وَمِنْ جُثَثِ الْقَتْلَى عَلَيْهَا تَمَائِمُ
طَرِيدَةٌ دَهْرٍ سَاقَهَا فَارَدَدَتْهَا عَلَى الدِّينِ بِالْحَطِيّ وَالْذَّهْرِ رَاغِمُ^(٢)

فالمتنبى في الأبيات السابقة يعجب من تكليف سيف الدولة لكتائبه الصغيرة
أن تنهض بِهَمَّةٍ في الحرب، وهي هِمَّةٌ أعظم من أن تخصص بها الجيوش
الضخمة، ومع ذلك فإن جيش سيف الدولة القليل بعدده وعدته ينتصر على جيش
الروم الكثير العدد والعدة ويحقق عليه انتصارات رائعة .

بعد ذلك الوصف الرائع الجميل يلتفت المتنبى إلى الأمير معجباً به مفتوناً
بقوته وعظمته ذاكراً له أنه قادر على فعل المعجزات وأن الروم والروس عاجزون
عن هدم المدينة طالما أن دعائمها قائمة على الطعن الشديد والحرب المظفرة التي
أنصفت المظلومين من أهلها وشتت الظالمين .

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٣ ص ٣٧٨ .

(٢) المصدر نفسه ج٣ ص ٣٨٠-٣٨٢ .

إذا كَانَ ما تَنْوِيهِ فِعْلاً مُضَارِعاً مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَازِمُ^(١)
وكيف تُرْجَى الرومُ والرومُ هَدَمَهَا وذا الطَّغْنُ أَسَاسٌ لَهَا ودَعَائِمُ
وقد حَاكَمُوهَا والمنايا حَوَاكِمُ فما ماتَ مَظْلُومٌ ولا عاش ظَالِمٌ^(٢)

إن الشاعر منصف في وصف المعارك، فليست مهمته تركية المسلمين وتمجيدهم وحدهم لذا لم يفته أن يكون دقيقاً في استعراضه لوصف المعركة، فلم يحط من قدر قوة الروم ولم يهون من شأنهم، بل وصف جيشهم الكبير الذي كان تحت إمرة أكبر قائد رومي عرفته الإمبراطورية في القرن العاشر الميلادي وهو «نقفور فوكاس» الذي قاد المعارك براً وبحراً في الشام وكريت وصقلية في دقة تامة أشاد بها جميع المؤرخين، يصف الشاعر ذلك الجيش ونظامه ودقته فيقول إنه جيش كثيف، زحف بشرق الأرض وغربها، تقارع أصواته آذان السماء، وهي أصوات أخلاط من البيزنطيين ومن وراءهم من الأوروبيين، أصوات مستعجمة قبيحة.

ويصور فرسان الروم يثقلهم ما يلبسونه وما تلبسه خيولهم من الحديد والفلولاذ فعلى رؤوسهم الخوذ، وعلى أجسادهم الدروع، وفي أيديهم التروس الضخمة وعلى الخيل السروج والحديد المصفتح الذي لا تكاد تبين فيه قوائمها، وكل هذا الحديد يلمع تحت الشمس، وقد يكاد الإنسان يميز بين سيوفهم وما يلبسونه إذ كل ذلك حديد يلمع ويبرق، لله يوم هذه المعركة، فقد محا تمويه من يتظاهرون بالبطولة والفروسية، وكأنه نار صهرت التمويه والغش والخداع، فلم يبق يثبت سوى الصارم، والسيف القاطع، والضيारم والأسد الشجاع، أما السيف الكليل فقد تقطع وأما الجبان فقد ولّى الأدبار.

(١) الفعل المضارع: ما كان فيه إحدى الزوائد الأربع، الألف للمتكلم، النون للجماعة، الياء للغائب، والتاء للمخاطب، والنحويون يسمون المستقبل المضارع وهو يصلح للحال والاستقبال حتى تدخل عليه سوف والسين، فبصير للمستقبل خاصة، وأراد أبوا لطيب الاستقبال ليصح له المعنى، لأن الفعل الحاضر لا يجوز أن ينوي ويتوقع ولا يؤمر به.

الجوازِم: أحرف الجزم، وأحرف الشرط، فهذه الحروف إذا دخلت على المضارع الصحيح سكتته وإذا دخلت على المعتل حذفت حرف العلة منه.

(٢) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ٣ ص ٣٨٢-٣٨٣.

أَتَوْكَ يَجْرُونَ الحديدَ كأنَّهم
إذا بَرَقُوا لَمْ تُعْرِفِ البيضُ منهم
خميس^(١) بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ زَحْفُهُ
تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسَنٍ وَأُمَّةٍ
فللهِ وَقْتُ ذَوْبِ الْغِشِّ نَارُهُ
تَقَطَّعَ مَا لَا يَقْطَعُ الدَّرْعَ وَالْقَنَا
سَرَوْا بِجِيَادٍ مَا لَهُنَّ قَوَائِمُ
ثِيَابُهُمْ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَائِمُ
وَفِي أُذُنِ الْجَوَازِ مِنْهُ زَمَارٌ
فَمَا تُفْهِمُ الْحَدَاثَ إِلَّا التَّرَاجِمُ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضَبَارِمٌ
وَفَرَّ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا يُصَادِمُ^(٢)

إنَّ المتنبي يأتي بهذا الوصف المروِّع المخيف المرعب لجيش الروم لكي يخلص إلى أميره المجاهد الذي وقف رغم هذه القوة العاتية، وقف وقفة مشرفة، يعمل سيفه ذات اليمين وذات الشمال، فيهزم الأبطال ويطيح برؤوس الشجعان ولم تفارق البسمة ثغره، أو تترك البشاشة وجهه، وهو يشهد بقلب ثابت الانتصار العظيم، وهزيمة العدو أمامه، وخيله تلحق به في ذرى الجبال:

وَقَفَّتْ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ
تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كُلُّهُمْ هَزِيمَةٌ وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ وَتُغْرُكُ بِاسِمٌ
تَجَاوَزْتَ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّهْيِ إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمٌ^(٣)

ثم يعود شاعرنا الأعظم إلى وصف المعركة من جديد، ويذكر كيف شتت الأمير شمل الأعداء، فنشر الرعب، وأشاع الفوضى في صفوفهم، حتى اختل نظام الجيش وتراجع الجناحان نحو القلب، والضرب ينال من هاماتهم، والنصر غائب عنهم قريب من المسلمين، وصارت جثث الأعداء تتناثر على جبل الأحيدب بجوار الحدث وكأنها عرس للبطل المجاهد سيف الدولة، وما الأشلاء والجثث

(١) الخميس: الجيش العظيم له الميمنة والميسرة والقلب والجناحان، الجيش لأنه خمسة أقسام مادة (خمس) مختار الصحاح ص ١٩٠. لسان العرب ج ١ ص ٩٠٣.

(٢) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ٣ ص ٣٨٤-٣٨٥.

(٣) النهي: جمع نهية وهي العقل. مادة (نهي) مختار الصحاح ص ٦٩٣.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ١ ص ٣٨٦-٣٨٧.

إلا الدراهم التي تعود العرب في أعراسهم أن ينثروها على العروس فرحين
مبتهجين:

ضَمَمْتَ جَنَاحَيْهِمْ عَلَى الْقَلْبِ ضَمَّةً تَمَوْتُ الْخَوَافِي تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ^(١)
بِضَرْبٍ أَتَى الْهَامَاتِ وَالنَّصْرُ غَائِبٌ وَصَارَ إِلَى اللَّبَاتِ وَالنَّصْرُ قَادِمٌ
حَقَرْتَ الرَّدِينِيَّاتِ حَتَّى طَرَحَتْهَا وَحَتَّى كَأَنَّ السَّيْفَ لِلرُّمَحِ شَاتِمٌ
وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا مَفَاتِيحُهُ الْبَيْضُ الْخِفَافُ الصَّوَارِمُ
نَثَرْنَهُمْ فَوْقَ الْأَحْيَدِ نَثْرَةً كَمَا نَثَرْتُ فَوْقَ الْعُرُوسِ الدَّرَاهِمُ^(٢)

إن المتنبي لم ينسَ الخيل التي اشتركت في المعركة فيصفها هنا وصفاً جديداً
يختلف عنه في قصائده الأخرى، فهي خيل نشطة بارعة في تسلق قمم الجبال،
حيث وكور جارحات الطير، ولكنه تسلق مبارك، ينثر الجثث التي تطعم فراخ
العقبان، حتى ظنت هذه الفراخ أن تلك الطير أمهاتها لسرعة تسلقها، وخفة
حركتها، وهي خيل تؤدي جميع ضروب السير حسب المكان الذي تسير فيه حتى
أنها ترحف أحياناً على بطونها كما ترحف الحيات على وجه الأرض.

تَدَوُّسُ بَكَ الْخَيْلُ الْوُكُورَ عَلَى الدُّرَا وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الْوُكُورِ الْمَطَاعِمُ
تَظُنُّ فِرَاحُ الْفَتْحِ أَنَّكَ زُرْنَهَا بِأُمَاتِهَا وَهِيَ الْعِتَاقُ الصَّلَادِمُ
إِذَا زَلَقْتَ مَشْيَتَهَا بِبُطُونِهَا كَمَا تَتَمَشَّى فِي الصَّعِيدِ الْأَرَاقِمُ^(٣)

ثم ينهي الشاعر قصيدته بلغته إلى الدمستق مليئة بالسخرية والهزء واصفاً حاله
بالحماقة والجهل، لأنه لا يرعوي عن مُلاقاة الأمير المرة بعد المرة، وفي كل مرة

(١) جناحان: جانباً العسكر الميمنة والميسرة.

الخوافي: أربع ريشات تملو أربعاً قبلها من جناحي الطائر. مادة (خفى) مختار الصحاح.

القوادم: أربع ريشات في أول جناحي الطير.

(٢) نثر: فرق مادة (نثر) مختار الصحاح ص ٦٤٥.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ٣ ص ٣٨٧-٣٨٨.

(٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٨٩.

يفقد عزيزاً، ويبعث جيشاً، ففي المرة السابقة فقد ابنه، وفي هذه المرة فقد صهره وابن صهره، ولكنه مضى شاكراً، ولكن شكره غير موجه للأمير بل موجه إلى هؤلاء القتلى من جيشه الذي شغلت رؤوسهم جيش سيف الدولة من رأس القائد نفسه، فيقول في جو مصحوب بالسخرية:

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ ذَا الدُّمُسْتُقْ مُقَدِّمٌ قَفَاهُ عَلَى الْأَقْدَامِ لِلْوَجْهِ لَائِمٌ
أُتْنِكِرُ رِيحَ اللَّيْثِ حَتَّى يَذُوقَهُ وَقَدْ عَرَفْتُ رِيحَ اللَّيْثِ الْبَهَائِمِ
وَقَدْ فَجَعْتُهُ بِأَيْنِهِ وَابْنِ صِهْرِهِ وَبِالصَّهْرِ حَمَلَاتُ الْأَمِيرِ الْغَوَاشِمِ
مَضَى يَشْكُرُ الْأَصْحَابَ فِي فَوْتِهِ الطُّبَا بِمَا شَغَلَتْهَا هَامُهُمْ وَالْمَعَاصِمِ
وَيَفْهَمُ صَوْتَ الْمَشْرِقِيَةِ فِيهِمْ عَلَى أَنَّ أَصْوَاتَ السِّبْوَفِ أَعَاجِمُ^(١)

وأبو الطيب المتنبّي أول من وصف هذه الحروب مع البيزنطيين بأنها ليست حروباً خاصة بين ملك الروم وملوك العرب، ولكنها حرب بين الإسلام والشرك^(٢).

وَلَسْتُ مَلِيكاً هَازِماً لِنَظِيرِهِ وَلَكِنَّكَ التَّوْحِيدُ لِلشِّرْكِ هَازِمٌ^(٣)
إن هذه القصيدة تُعدّ مثلاً أعلى لشعر الحرب^(٤) لأن الشاعر لم يخرج فيها عن جادة الموضوع لا من قريب ولا من بعيد، فلم يتغزل ولم يفخر ولم يَهْجُ.
إن قصيدة الحدث دليل على سمو أسلوب المتنبّي في الوصف الملحمي، وصدق عاطفته، وارتفاعه إلى مستوى المعركة^(٥).

إن قصيدة الحدث من أكثر قصائد المتنبّي تحقيقاً للنفس الملحمي حيث ترتفع النفس الملحمية في هذه القصيدة من بيت إلى بيت فتكتمل لوحة بطولية

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ ٣ ص ٣٨٩-٣٩٠.

(٢) زكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب ص ٢٩٢.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ ٣ ص ٣٩١.

(٤) مصطفى الشكعة: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ص ٤١٣.

(٥) خليل شرف الدين: الموسوعة الأدبية الميسرة ص ١٣٠.

خارقة في نفس تصاعدي وحشد للصور البصرية ورؤيا تعتمد على الواقع الحسي لترتفع إلى جو أسطوري^(١).

إن شعر المتنبي في قصيدة معركة الحدث عبارة عن عدسة تصوير ناطقة تنقل إليك صورة الجيشين المتحاربين في أحسن صورة^(٢).

حوادث سنة ٣٤٣هـ:

في هذا العام أرسل ملك الروم رسوله إلى سيف الدولة من أجل الهدنة فحشد سيف الدولة للقائه جيوشاً حال ثقلها بالباب دون دخول أبي الطيب فلما أدخل أبو الطيب حيث كان الحفل، وصف السفير أنه قبل الأرض ثم قبل كم سيف الدولة.

يقول زكي المحاسني^(٣): أجد هذا عند أبي الطيب تسجيلاً للطراز التي كان يسلم به السفراء البيزنطيون على الملوك في القرن العاشر للميلاد وهو طراز السلام لدى سفراء الفرنجة في القرون الوسطى، ولكنهم لم يكونوا يقبلون الأرض، وإنما كانوا يرجعون خطوتين إلى الوراء ووجوههم تلقاء الملوك الذين يؤدون التحية إليهم، ثم يمسون الأرض بأطراف قبعاتهم ذوات الريش ثم يلوحون بها مِثْلاً مع الخطوتين الراجعتين لكن السفير البيزنطي قبل الأرض قبل أن يقبل كم سيف الدولة، فلما فعل ذلك السفير وقف المتنبي وقال القصيدة التالية التي مطلعها:

دُرُوعٌ لِمَلِكِ الرُّومِ هَذِي الرِّسَائِلُ يَرُدُّ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَيُشَاغِلُ^(٤)

وحين يتحدث الشاعر عن السفراء الذين يأتون بعد انكسار جيوشهم يلتمسون عبثاً هدنة من أمير مزهو بانتصاراته، لم تكن لديه كفاية من الكلمات المذلة

(١) جورج عيد ومعتوق: المتنبي شاعر الشخصية العربية ص ٩.

(٢) هادي نهر: مع المتنبي في شعره الحربي ص ١٤٩.

(٣) زكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب ص ٢٨٧.

(٤) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ٣ ص ١١٢.

لتصوير موقفهم بدقة، فهم يرتعدون فرقا، ولا يستطيعون المشي معتدلي القامة، تنظر أعينهم بفرع إلى سيف الأمير، ولم يخفوا طلب الهدنة، وإنما لالتماس العفو، إنه ميثاق حمية، ومن العظم أن تقول هذا تصوير لا يطابق الواقع.

أتاك يكاد الرأس يجحد عُنْقَهُ وتنقذ تحت الذُّعْر^(١) منه المفاصلُ
يَقُومُ تقويمَ السَّمَاطِينِ مَشْيَهُ إليك إذا ما عَوَّجَتْهُ الأفَاكِيلُ^(٢)
فَقَاسَمَكَ الْعَيْنَيْنِ مِنْهُ وَلَحْظَهُ سَمِيكَ وَالْخَلُ^(٣) الذي لا يزايلُ
وَقَبِلَ كُمَا قَبَّ التُّرْبَ قَبْلَهُ وكلُّ كميِّ واقف متضائلُ^(٤)

ثم أخذ الشاعر يمنّ على رسول ملك الروم بتقبيل كم الأمير فقال:
مَكَانَ تَمَثَّاءِ الشُّفَاءِ وَدَوْنَهُ صُدُورُ الْمَذَاكِي وَالرَّمَاخِ الذَّوَابِلُ^(٥)

ولم يصرح أبو الطيب في هذه القصيدة بأن سيف الدولة منّ على الرسول بفكاك ابن قسطنطين فقبل سفارة الرسول، أو أنّ ابن قسطنطين كان سجيناً أو عزيزاً في أسره، أو أنه قضى نحبه في ديار المسلمين، إلا أن بلاشير^(٦) قال: أن ابن نسيفور فوكاس مات.

وأخيراً يقول: إنّ الروم أرسلوا رسولهم راجين إجابتهم إلى الصلح، وقد جاؤوا إليك ذليلين، لذلك لا تحتاج في أسرهم إلى السلاسل.

(١) الذعر: الفزع. مادة (ذعر) مختار الصحاح للرازي ص ٢٢٢.

(٢) السماطين: صفان من الجند كانا بين يدي سيف الدولة ج ١ ص ١١٣.

الأفاكل: جمع أفكل، الرعدة تعرض عند الفزع.

(٣) الخل: الخليل ويقال للسيف خل و خليل.

(٤) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ٣ ص ١١٣ - ١١٤.

(٥) المذاكي من الخيل: التي كملت أسنانها. الواحدة: مذك.

الذوايل من الرماح: الياصة العوالي.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ٣.

(٦) بلاشير: أبو الطيب المتنبّي ص ١٧٩.

رَجَا الرُّومُ مِنْ تُرْجَى التَّوَافُلِ كُلُّهَا لَدَيْهِ وَلَا تُرْجَى إِلَيْهِ الطَّوَائِلُ
فَإِنْ كَانَ خَوْفُ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ سَاقِفَهُمْ فَقَدْ فَعَلُوا مَا الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ فَاعِلُ
فَخَافُوكَ حَتَّى مَا لِقَتْلٍ زِيَادَةٌ وَجَاؤُوكَ حَتَّى مَا تُزَادُ السَّلَاسِلُ^(١)

حوادث سنة ٣٤٣هـ:

جلس سيف الدولة لرسول ملك الروم، ولم يصل إليه المتنبّي لرحام الناس
فعاتبه سيف الدولة على تأخره فقال ارتجالاً:

ظَلَمْتُ لَذَا الْيَوْمِ وَصَفْتُ قَبْلَ رُؤْيَيْهِ لَا يَصْدُقُ الْوَصْفُ حَتَّى يَصْدُقَ النَّظَرُ^(٢)

أي إنّ وصفني لهذا اليوم دون أن أ شاهد ما جرى فيه ظلم له، لأنّ صدق
الوصف موقوف على صدق النظر، فإذا لم أكن صادق النظر بالعيان والمشاهدة،
لم أكن صادق الوصف، ثم ينتقل للحديث عن الروم فيقول:

الْيَوْمَ يَرْفَعُ مَلِكُ الرُّومِ نَظْرَهُ لِأَنَّ عَفْوَكَ عَنْهُ عِنْدَهُ ظَفَرُ
وَإِنْ أَجَبْتَ بِشَيْءٍ عَنْ رِسَالَتِهِ فَمَا يَزَالُ عَلَى الْأَمْلَاقِ يَفْتَحِرُ
قَدْ اسْتَرَاخَتْ إِلَى وَقْتِ رِقَابِهِمْ مِنَ السُّيُوفِ وَبَاقِي الْقَوْمِ يَنْتَظِرُ
وَقَدْ تَبَدَّلَهَا بِالْقَوْمِ غَيْرَهُمْ لَكِي تَجِمَّ رُؤُوسُ الْقَوْمِ وَالْقَصَرُ^(٣)

أحداث سنة ٣٤٤هـ، ٩٥٥م^(٤):

وردّ على سيف الدولة الخبر آخر النهار يوم الثلاثاء لست خلون من جمادى
الأولى سنة أربع وأربعين وثلاثمائة بأنّ الدّمستق وجيوش النصرانية قد نازلت نجر

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٣ ص ١١٦.

(٢) المصدر نفسه ج٢ ص ٩٨.

(٣) المصدر نفسه ج٢ ص ٩٩.

(٤) سامي الكيالي: سيف الدولة ودولة الحمدانيين ص ٢١٦-٢١٨.

البرقوتي: ج٣ ص ٢٥٣.

زكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب ص ٢٩٣.

بلاشير: أبو الطيب المتنبّي ص ٣١٧.

الحدث في يوم الأحد، ونصبوا عليه مكاييد، وقدّروا أنّها فرصةٌ فيه لما تداخل أهله من القلق والانزعاج والوصم في تمام بنائه على يد سيف الدولة، ولأنّ ملكهم قد ألزمهم قصده، وأنجدهم بأصناف الكُفّر من البلغار والروس والصقلب وغيرهم، وأنفذ معهم العدد الكثير والعدد الوفيرة، فركب سيف الدولة لوقته نافرًا، وانتقل إلى غير الموضع الذي كان فيه ونظر فيما يجب النظر فيه في ليلته، وصار عن حلب غداة يوم الأربعاء لسبع خلّون فنزل «رعبان» وأخبار الحدث مستعجلة عليه لضبطهم الطرق وتقديرهم أن يخفى عليه خبرهم فلمّا أسحَرَ، لبس سلاحه وأمر أصحابه بمثل ذلك وسار زحفًا، فلمّا قرّب من الحدث عادت إليه الطلائع بأنّ عدو الله لمّا أشرفت عليه خيول سيف الدولة على عقبه تسمى «العبراني» أو «العبري» رحل ولم يستقر به دار وامتنع أهل الحدث من البدار بالخبر خوفًا من كمين يعترض الرُّسل، فنزل سيف الدولة بظاهره، وأتّتهم طلائعهم تخبر سيف الدولة بانصرافهم إلى «حصن رُعبان» ووقعت الضجة، وظهر الاضطراب، وولّى كلّ فريق على وجهه، وخرج أهل الحدث فأوقعوا ببعضهم، وأخذوا آلة حربهم وأعدوه في حصنهم فقال أبو الطيّب:

ذي المعالي فليعلوّن منّ تعالى هكذا هكذا وإلا فلا^(١)

كان بناء الحدث الحمراء وتملك المسلمون لحصنها شوكةً في جنب الروم لأنها باب الطريق إلى القسطنطينية، فجاء جيشهم سنة ٣٤٤هـ إلى الإغارة عليها بقيادة ابن ملكهم «ليون» فوصف أبو الطيّب سرية الروم هذه وما دار عليها من الأقدار التي دارت قبلها على آباء الروم وأحوالهم فقال:

لا ألوم ابن لاوٍن ملك الروم م وإن كان ما تمّنى مُحالا
أقلقتُهُ نيّةٌ بين أذني ه وإن بغى السّماء فَنالا
يجمعُ الروم والصقالب والبُد غر فيها وتجمّع الأجالا

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٣ ص ١٣٤.

نزلوا في مَصَارِعَ عَرَفُوها يَنْدُبُونَ الْأَعْمَامَ وَالْأَخْوالاً^(١)
 إِنَّ الروم لم ينسوا ما أصابهم من خسارةٍ فادحةٍ في هذا المكان قبل عام أي
 عام ٣٤٣هـ في الحدث، ونظراً لشدة خوفهم منك، رأوا الطعن متتابعاً في
 قلوبهم:

تَحْمِلُ الرِّيحُ بَيْنَهُمْ شَعَرَها م وَتُذْري عَلَيْهِمُ الْأَوْصَالَ^(٢)
 تُنْذِرُ الْجِسْمَ أَنْ يُقِيمَ لديها وَتُريه لِكُلِّ عُضْوٍ مِثْلالا
 أَبْصَرُوا الطَّعْنَ فِي الْقُلُوبِ دِراكاً قَبْلَ أَنْ يُبْصِرُوا الرِّمَاحَ خَيالاً
 وَإِذا حَاوَلْتَ طِعْناكَ خَيْلاً أَبْصَرْتَ أَذْرَعَ الْقِنا أُمَيالاً^(٣)

إن الخوف سيطر على قلوب الروم فانتشر وشاع فيهم، فكأنه بسط يمينه في
 ميامن عسكرهم، وشماله في مياسرهم حتى انهزموا، لقد أصيبت أيدي الروم
 بالارتعاش من شدة الخوف، فصار السلاح يسقط من بين أيديهم من شدة خوفهم
 إن الخوف غيّر وجوه الروم وأذهب جمالها.

بَسَطَ الرُّعْبُ فِي الْيَمِينِ يَمِيناً فَتَوَلَّوْا وَفِي الشِّمالِ شِمالاً
 يَنْقُضُ الرُّوْعُ أَيْدِيّاً لَيْسَ تَذْري أَسْيُوفاً حَمَلْنَ أُمَ أَغْلالاً^(٤)
 وَوُجُوهاً أَخافَها مِنْكَ وَجْهٌ تَرَكَتْ حُسْنَها لِهَ وَالْجَمالاً^(٥)

لقد فر الروم من المعركة، وكانوا قد تكلفوا كثيراً نتيجة غزوهم، لقد ظنوا
 أنهم قادرون على ملاقات المسلمين وقتالهم، فلما قصدوا محاربتك انهزموا وعانوا
 قصورهم فأزال العيان ما كان الظن يحدث لهم.

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٣ ص ١٣٧-١٤٠.

(٢) تَذْرى: تنثر، تفرق، مادة (ذرى). مختار الصحاح ص ٢٢٢.

الأوصال: جمع وصل ويريد به العضو. مادة (وصل) مختار الصحاح ص ٧٢٥.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٣ ص ١٤٠-١٤١.

(٤) الأغلال: جمع غل وهو رباط تشد به اليد إلى العنق. مادة (غلل) لسان العرب ج٢ ص ١٠٠٨.

(٥) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٣ ص ١٤٢.

إِنَّ الرُّومَ جَبْنَاءُ فِي قِتَالِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ فَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الصُّمُودَ أَمَامَهُمْ لِأَنَّ
المُسْلِمِينَ يَقَاتِلُونَ مِنْ أَجْلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَأَمَّا الرُّومُ فَقَاتِلَهُمْ مِنْ أَجْلِ
الطَّاغُوتِ، لَقَدْ أَقْسَمَ الرُّومُ أَنْ يُخَضِّرُوا عَقُولَهُمْ، وَيَعْمَلُوا أَفْكَارَهُمْ فِي قِتَالِكَ،
فَمَاذَا كَانَتِ النَّتِيجَةُ، أَفَنِيَتْ جِيُوشُهُمْ وَأَتَلَفَتْ نَفُوسُهُمْ.

وَالْعِيَانُ الْجَلِيُّ يُخْدِثُ لِلظَّنِّ زَوَالاً وَلِلْمُـرَادِ أَنْتَقَالاً
وَإِذَا مَا خَلَا الْجِيَانُ بِأَرْضٍ طَلَبَ الطَّغْنُ وَحْدَهُ وَالنَّزَالاً
أَقْسَمُوا لَا رَأُوكَ إِلَّا بِقَلْبٍ طَالَمَا غَرَّتِ الْعُيُونُ الرِّجَالاً^(١)

إِنْ هَذَا اللَّعِينُ لَمْ يَشْكُ فِي أَنَّكَ تَغْلِبُ جَيْشَهُ فَتَتَحَكَّمُ فِيهِ وَتَأْخُذُهُ وَتَمْلِكُهُ
وَتَشْتِ أَهْلَهُ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، إِنَّ اللَّهَ تَكْفُلُ لَكَ عَلَيْهِ بِالنَّصْرِ.

مَا يَشْكُ اللَّعِينُ فِي أَخْذِكَ الْجَيْشَ فَهَلْ يَبِيعُثُ الْجِيُوشَ نَوَالاً^(٢)
وَأَخِيرًا يَصِفُ جَيْشَ الْمُسْلِمِينَ فَيَقُولُ:

فِي خَمِيسٍ مِنَ الْأَسْوَدِ بَيْتِيسٍ يَفْتَرِسُنَ النَّفُوسَ وَالْأَمْوَالَ
وَضُبًّا تَعْرِفُ الْحَرَامَ مِنَ الْحِلِّ فَقَدْ أَفْنَتِ الدَّمَاءَ حِلَالاً^(٣)

حوادث سنة ٣٤٤هـ:

ورد رسول ملك الروم بطلب الهدنة من سيف الدولة، فأنشد المتنبي هذه
القصيدة بحضرتهم، وقت دخولهم لثلاث عشرة بقين من المحرم سنة أربع
وأربعين وثلاثمائة للهجرة ومطلعها:

أَرَاكَ كَذَا كُلِّ الْمُلُوكِ هُمَامٌ وَسَخَّ لَهُ رُسُلَ الْمُلُوكِ عَمَامٌ^(٤)

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٣ ص ١٤٣.

(٢) نفس المصدر ج٣ ص ١٤٤.

(٣) نفس المصدر ج٣ ص ١٤٦.

(٤) أَرَاكَ: أفرغ. الهمام: الملك العظيم الهمة. الغمام: السحاب.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٣ ص ٣٩٣.

إنَّ الأميرَ المجاهدَ سيفُ الدولة كان المحور الأول في شعر المتنبي الذي يدور عليه محور شعر الجهاد ولهذا ركّز عليه، ووجه نحوه أضواءه ولعلَّ أفضل صفة يتحلّى بها الفارس في الحرب أنّه يخوضُ المعارك دون خوفٍ ويضربُ الأعناقَ وثغره باسم.

إذا زارَ سيفُ الدولة الرومَ غازیاً كفاها لِمأمٌ لو كَفاهُ لِمأمٌ^(١)
يخاطب الشاعر الأمير سيف الدولة فيقول له: إنَّ رسل ملك الروم تنام آمنة عندك بسبب إحسانك إليهم، أمّا الذين بعثوهم فلا يعرفون طعم النّوم خوفاً منك لأنّهم يحذرون ملكاً شديداً بأسه، قوياً جيشه، تتسابق فرسانه إلى الحرب طمعاً في الشهادة في سبيل الله.

تنامُ لَدَيْكَ الرُّسُلُ أَمْنًا وَغِبْطَةً وَأَجْفَانُ رَبِّ الرُّسُلِ لَيْسَ تَنَامُ
حِذاراً لِمُعْرُورِي الجِإَادِ فُجَاءَةً إِلَى الطَّغْنِ قُبْلًا مَا لَهُنَّ لِجَامٌ^(٢)
ثم يطلب من أميره قبول طلب الهدنة من الروم الذين أستجاروا به وجاؤوا إليه بذلة، فاختيار العزيز للذل هو الذل.

إذا خافَ مَلِكٌ مِنْ مَلِيكِ أَجْرَتَهُ وَسَيْفَكَ خَافُوا والجِوَارِ تُسَامُ
لهم عنك بالبيض الخفاف تفرُّقٌ وَحَوْلَكَ بِالْكُتُبِ اللَّطَافِ زِحَامُ
تغرُّ حلاواتُ الثُّقُوسِ قُلُوبَهَا فَتَخْتَارُ بَعْضُ العَيْشِ وَهُوَ حِمَامٌ^(٣)

إنَّ الرومَ جاؤوا إليك أيها الأمير من أجل الهدنة، أي لتؤخر عنهم الحرب أياماً وهذا أكبر ذلّ وامتهانة لهم، لقد وافقت وأخرت الحرب عنهم شفاعة فرسان طرطوس لهم، لقد قصدوك مستسلمين ولو لم يكونوا كذلك لجبنوا عنك ناكسين على أعقابهم.

(١) اللمام: الزيارة القصيرة. مادة (لَم) مختار الصحاح ص ٦٠.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ٣ ص ٣٩٣.

(٢) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٩٣-٣٩٤.

(٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٩٤-٣٩٥.

فلو كَانَ صَلْحاً لَمْ يَكُنْ بِشَفَاعَةٍ وَلَكِنَّهُ ذُلٌّ لَهُمْ وَغَرَامٌ^(١)
وَمَنْ لِفُرْسَانِ الثُّغُورِ عَلَيْهِمْ بِتَبْلِيغِهِمْ مَا لَا يَكَادُ يُرَامُ
كَتَائِبُ جَاؤُوا خَاضِعِينَ فَأَقْدَمُوا وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا خَاضِعِينَ لَحَامُوا
وَعَزَّتْ قَدِيمًا فِي ذَرَاكَ خِيُولُهُمْ وَعَزُّوا وَعَامَتْ فِي نَدَاكَ وَعَامُوا^(٢)

لقد تعود الروم إحسانك أيها الأمير، لذلك فإنهم لمحبتك يصلون عليك
ويسلمون، وإن كنت تغير عليهم تعجباً لحسن وجهك الميمون على الإسلام
وأهله فالكرام يعتدون بأمثالك، وإنك أيها الأمير إمام أهل المكرمات.

عَلَى وَجْهِكَ الْمِيمُونَ فِي كُلِّ غَارَةٍ صَلَاةٌ تَسْأَلِي مِنْهُمْ وَسَلَامٌ^(٣)
وَكُلُّ أَنْاسٍ يَتَّبِعُونَ إِمَامَهُمْ وَأَنْتَ لِأَهْلِ الْمَكْرُمَاتِ إِمَامٌ^(٤)

إذا عاد الروم الذين تركوا ديارهم خوفاً منك بالهدنة التي أجبتهم إليها،
وعاودت أنت تلك الأرض بالغزو، فألفيت فيها جماعات تعمل سيوفك في رقابهم
وتسبي من نسائهم قسماً آخر:

مَتَى عَاوَدَ الْجَالُونَ^(٥) عَاوَدَتْ أَرْضَهُمْ وَفِيهَا رِقَابٌ لِلسُّيُوفِ وَهَامٌ
وَرَبُّوا لَكَ الْأَوْلَادَ حَتَّى تُصَيِّبَهَا وَقَدْ كَعَبَتْ بِنْتُ وَشَبَّ غُلَامٌ^(٦)
جَرِيٌّ مَعَكَ الْجَارُونَ حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا إِلَى الْغَايَةِ الْقَصْوَى جَرَيْتَ وَقَامُوا^(٧)

(١) الغرام: الشر الدائم. مادة (غرم) مختار الصحاح. قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾.

(٢) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ ٣ ص ٣٩٥-٣٩٦.

(٣) الميمون: ذو اليمن والبركة.

الغارة: الحرب.

الصلاة: الرحمة.

السلام: البركة.

(٤) العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ ٣ ص ٣٩٦.

(٥) الجالون: الذين أخرجوا من ديارهم. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾.

(٦) الكاعب: التي قد بدأ تديبها باليهود. مادة (كعب) مختار الصحاح ص ٢٧٢.

(٧) القصوى: البعيدة.

العكبري: التبيان في شرح الديوان جـ ٣ ص ٣٩٨.

حوادث عام ٣٤٥هـ:

خرج سيف الدولة للحرب، ووطأ من أرض الروم موطناً لم يطأه المسلمون منذ ثلاثين عاماً^(١)، غزا سيف الدولة «بطن هنريط» وفتح «تل بطريق» على الفرات وهزم «ابن شمشقيق» وقتل «رومانوس بن البلنطس» صهر «ابن شمشقيق» ثم عاد إلى حلب بعد رحلة مظفرة ناجحة محملاً بالغنائم والأسرى من عظماء الروم وقادتهم مثل «الرسن بن البلنطس» و«لاون بن الاسطر أطفيس»^(٢)، فيطرب المتنبي لذلك وينشد سيف الدولة عند منصرفه من بلاد الروم هذه القصيدة التي مطلعها:

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمَحَلِّ الثَّانِي^(٣)

هذه القصيدة لا تقلُّ من حيث جَوْدَة وصف المواقع ونعت الخيل عن أخواتها من شعر الشاعر، بل ربما زادت عليها في تعداد الصور والأهداف بالأفكار، حيث بدأها بالحكمة، ثم وصف الجياد على عادته، ثم وصف المعارك التي حدثت بين الجانبين، وزاد في هذه القصيدة وصف السفن، فضلاً عما أضفاه عليها من معانٍ رقيقة، وأوصاف بارعة تبلغ حد الإعجاز، بالإضافة إلى قافية موسيقية استهل الشاعر قصيدته بذكر أبيات من الحكمة فضّل فيها العقل على الشجاعة والرأي على القوة فإن اجتمع لإنسان رأي سليم وقوة بدنية أمكن له أن يبلغ أسمى المراتب وأرفع الدرجات، وألح الشاعر على تفضيل العقل الذي لولاه لكانت بعض الحيوانات القوية أكرم من الإنسان وأفضل منه.

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمَحَلِّ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مِرَّةٍ^(٤) بَلَغَتْ مِنَ الْعَلِيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ

(١) سامي الكيالي: سيف الدولة الحمداني وعصر الحمدانيين ص ٥٨.

(٢) مصطفى الشكعة: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ص ٦٠٠.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ٤ ص ١٧٤.

(٤) النفس المِرَّة: القوية الشديدة، أي لا تقبل الضيم. قال تعالى: ﴿ذُومِرَةٌ تَتَوَلَّى﴾ [النجم: ٦].

وَلَرُبَّمَا طَعَنَ الْفَتَى أَقْرَانَهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَقْرَانِ
لَوْلَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْغَمٍ أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ^(١)

بعد ذلك انتقل الشاعر إلى وصف خيل القتال، فذكر أنَّ الأمير قادها إلى بلاد
الأعداء التي صارت لها كالأوطان لكثرة ما تعودت التردد عليها، وأنها خيل جميلة
المنظر، ملَّمةٌ بأداب القتال، مدربة على خوض المعارك، تسير في ظلمة الغبار
فتعرف طريقها وكأنها تبصر بأذانها لا بعيونها.

قَادَ الْجِيَادَ إِلَى الطَّعَانِ وَلَمْ يَقْدُ إِلَّا إِلَى الْعَادَاتِ وَالْأَوْطَانِ
كُلُّ ابْنٍ سَابِقَةٍ^(٢) يُغَيِّرُ بِحُسْنِهِ فِي قَلْبٍ صَاحِبِهِ عَلَى الْأَحْزَانِ
إِنْ حُلِّيَتْ رُبِطَتْ بِأَدَابِ الْوَعَى فَدُعَاؤُهَا يُغْنِي عَنِ الْأَرْسَانِ^(٣)
فِي جَحْفَلٍ سَتَرَ الْعُيُونُ غُبَارُهُ فَكَأَنَّمَا يُنْصِرَنَ بِالْأَذَانِ^(٤)

ثم مضى الشاعر على رسله في إظهار براعة هذه الخيول السريعة غاية السرعة
حتى كأنها تكاد تصل بأيديها إلى صميم بلاد الروم ولم تزل أرجلها في بلاد سيف
الدولة، ثم وصف منظر الخيل وهي تعبر نهر «أرسناس» بالشام ذلك النهر الشديد
البرودة الذي لا تهابه الخيل بل تقتحمه سابحات وعلى ظهورها الأبطال
المجاهدون وقد بدت عمائمهم منتشرة في الهواء وعلى الماء لسرعتها الفائقة،
كما وصف الخيل وهي تقفز من شدة البرودة في أديم الماء الذي داعبه الريح،
فجعله متكسراً كالمُددى، فإذا ما خرجت منه بدت متقلصة كأنها خصيان فلا يفوت
الشاعر أن يصف النهر بالبياض المفضض حين ذهاب الأمير وبالصفرة المحمرة
حال عودته لكثرة ما اختلط به من دماء الأعداء الكفار.

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٤ ص ١٧٤.

(٢) ابن سابعة: فرساً ولدته سابعة من كرام الخيل.

(٣) الوعى: الحرب.

الأرسان: جمع رسن وهو ما يكون في رأس الدابة.

(٤) جحفل: جيش عظيم، مأخوذ من تجحفل القوم، اجتمعوا، ورجل جحفل: عظيم القدر.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٤ ص ١٧٦.

فَكَأَنَّ أَرْجُلَهَا بِثُرْبَةٍ مَنِيحٍ يَطْرَحْنَ أَيْدِيَهَا بِحِصْنِ الرَّانِ^(١)
 حَتَّى عَبْرَنَ بِأَرْسَنَاسٍ^(٢) سَوَابِحًا يَنْشُرُونَ فِيهِ عَمَائِمَ الْفُرْسَانِ
 يَقْمُصْنَ فِي مِثْلِ الْمُدَى مِنْ بَارِدٍ يَذَرُ الْفُحُولَ وَهُنَّ كَالْخِصْيَانِ^(٣)
 وَالْمَاءِ بَيْنَ عَجَاجَتَيْنِ مُخْلَصُ تَتَفَرَّقَانِ بِهِ وَتَلْتَقِيَانِ
 رَكَضَ الْأَمِيرِ وَكَاللُّجَيْنِ حَبَابُهُ وَثْنَى الْأَعْنَةَ وَهُوَ كَالْعَقْيَانِ^(٤)

ويعرض الشاعر للسفن التي بناها الأمير سيف الدولة واستعملها في نقل الغنائم والسبايا ويشبهاها بالخيول إلا أنها سوداء عقيمة لا قوائم لها تسير في بحر طالما ذاق متاعب الغزو والهزيمة من الأعداء، فأصبح يشي على سيف الدولة ويمجده لما رد له من كرامته وكرامة أهله.

فَقَلَ الْحَبَالَ مِنَ الْغَدَائِرِ فَوْقَهُ وَبَنَى السَّفِينَةَ لَهُ مِنَ الصُّلْبَانِ^(٥)
 وَحَشَاهُ عَادِيَةً بَغَيْرِ قَوَائِمٍ عَقَمَ الْبُطُونِ حَوَالِكَ الْأَلْوَانِ^(٦)
 تَأْتِي بِمَا سَبَتِ الْخِيُولُ كَأَنَّهَا تَحْتَ الْحَسَانِ مَرَابِضُ الْغِزْلَانِ

(١) منبج: بلدة في الشام من أعمال حلب.

حصن الران: من بلاد الروم.

(٢) أرسناس: نهر بالشام بارد الماء جداً.

(٣) يقمصن: يشن، مادة (قمص) مختار الصحاح.

المدى: جمع مدية وهي السكين.

خصيان: جمع خصى من الخيل

(٤) اللجين: الفضة.

العقيان: الذهب.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٤ ص ١٧٧-١٧٨.

(٥) الغدائر: جمع غديرة وهي الذؤابة من الشعر.

الصلبان: جمع صليب وهو الذي تعظمه النصارى.

(٦) العقيم: الذي لا يلد. مادة (عقم).

الحوالك: جمع حالكة وهي السوداء. مادة (حلك).

بَحْرٌ تَعَوَّدَ أَنْ يُذِمَّ لِأَهْلِهِ مِنْ دَهْرِهِ وَطَوَارِقِ الْجِدْثَانِ
فَرَكَّتْهُ وَإِذَا أَدَمَّ مِنَ الْوَرَى رَاعَاكَ وَاسْتَنْسَى بَنِي حَمْدَانَ^(١)

ولأول مرة يصف المتنبي سيف الدولة وبني حمدان بالصعلكة وهو وصف فيه جدة وجرأة لأن الصعاليك كما هو معروف كانوا من فتيان العرب وشجعانهم الذين اشتهروا بالفروسية وسرعة العدو، وكانوا يغيرون على القبائل الغنية فيغنمون ويسلبون، ولكنهم لا يحتفظون لأنفسهم إلا بالقليل ويوزعون الباقي على الفقراء من العرب، والمتنبي حين وصف بني حمدان بالصعلكة إنما استعار لهم شجاعة الصعاليك، وما امتازوا به من صفات البطولة دون السلب والنهب، فإن سلبوا ونهبوا فإنما يسلبون الأعداء وينهبون الروم، وهم لشدة صعلكتهم لا يكادون يتركون ظهور جيادهم إلا لكي يتقيلوا في ظلالها ثم لا يلبثوا أن يمتطوا صهوان جيادهم فتعدو بهم عدو النعام وتجري بهم جري الذئب.

الْمُخْفِرِينَ بِكُلِّ أَيْضَ صَارِمٍ ذِمَّ الدُّرُوعِ عَلَى ذَوِي التَّيْجَانِ
مُتَّصِعِلِينَ عَلَى كَثَافَةِ مُلْكِهِمْ مُتَوَاضِعِينَ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ
يَتَقِيلُونَ ظِلَالَ كُلِّ مُطَهَّمٍ أَجَلَ الظَّلِيمِ وَرِبْقَةَ السَّرْحَانِ^(٢)

لقد ذلت لسيفك كل السيوف وأذل دينك كل دين.

خَضَعْتَ لِمُنْصِلِكَ الْمَنَاصِلُ عَنُودَ وَأَذَلَّ دَيْنُكَ سَائِرَ الْأَدْيَانِ^(٣)

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٤ ١٧٨-١٧٩.

(٢) المطهم: الفرس التام كل شيء منه على حدته، أي بارع الجمال.

الظليم: ذكر النعام.

السرحان: الذئب.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٤ ص ١٧٩.

(٣) المنصل: السيف.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٤ ص ١٨٠.

ويمضي الشاعر في وصف المسلمين على خيولهم وفي مقدمتهم الأمير
المجاهد سيف الدولة كأنهم العقبان يضربون أعداءهم بقوة وعنق فتساقط
الرؤوس، وتشني الهامات من شدة الضرب الذي ينزل عليهم كأنه المطر.

نَظَرُوا إِلَى زُبَرِ^(١) الْحَدِيدِ كَأَنَّمَا
وَفَوَارِسٍ يُخَيِّي الْحِمَامُ نُفُوسَهَا
مَا زِلْتَ تَضْرِبُهُمْ دِرَاكًا فِي الذُّرَى^(٢)
خَصَّ الْجَمَاجِمَ وَالْوُجُوهَ كَأَنَّمَا
فَرَمُوا مَا يَرْمُونَ عَنْهُ وَأَدْبَرُوا
يَغْشَاهُمْ مَطَرُ السَّحَابِ مُقْصَلًا
حُرِمُوا الَّذِي أَمَلُوا وَأَدْرَكَ مِنْهُمْ
يَضَعْدَنَ بَيْنَ مَنَاكِبِ الْعُقْبَانِ
فكَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْحَيَوَانِ
ضَرْبًا كَأَنَّ السَّيْفَ فِيهِ أَثْنَانِ
جَاءَتْ إِلَيْكَ جِسْمُهُمْ بِأَمَانِ
يَطْوُونَ كُلَّ حَنِيَّةٍ^(٣) مِرْنَانِ
بِمُثَقَفٍ وَمُهَنْدٍ وَسِنَانِ^(٤)
أَمَالَهُ مَنْ عَاذَ بِالْحِرْمَانِ^(٥)

ثم يصف الشاعر الروم بالجبن والخور وعدم إجادة الضرب حتى سالت
دماؤهم على أوراق الشجر التي يشبهها الشاعر بثمر النارج:

وَجَرَى عَلَى الْوَرَقِ النَّجِيعُ الْقَانِي
إِنْ السَّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قَلُوبُهُمْ
نَلْقَى الْحُسَامَ عَلَى جَرَاءَةٍ حَدِّهِ
مِثْلَ الْجَبَانِ بِكَفِّ كُلِّ جَبَانِ^(٦)
فكَأَنَّهُ النَّارَنْجُ فِي الْأَغْصَانِ
كَقُلُوبِهِنَّ إِذَا التَّقَى الْجَمْعَانِ

هكذا انتهى المتنبي من هذه الملحمة وقد لمسنا ذلك الوصف البارع لحرب
سيف الدولة مع الروم بما فيه من دقة وبراعة حيث ينقل المعركة بكل ما فيها من

(١) الزبر: جمع زبرة وهي القطعة من الحديد.

(٢) الذرى: المكان المرتفع.

(٣) الحنية: القوس.

(٤) المثقف: الرمح.

المهند: السيف.

(٥) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٤ ص ١٨١-١٨٢.

(٦) المصدر نفسه ج٤ ص ١٨٤.

شدّة وعنف ودماء وتقتيل، ونصر وهزيمة، وفرّ وكرّ، ينقل كل ذلك تحت نظر القارئ حتى يظن نفسه مشتركاً فيها أو على الأقل مشاهداً لها من مكان أمين.

حوادث عام ٣٤٥هـ «معركة الدرب»^(١):

لئن كانت معركة «الدرب» هي آخر معركة وصفها المتنبي لسيف الدولة مع الروم وكانت قصيدته هي آخر قصيدة في سيف الدولة قبل رحيل الشاعر من حلب، فقد وفرّ الدهر على أبي الطيب كبرئ حوادثه، وأفدح خطوبه، إذ نجى عينيه أن تشهدا انكسار الأمير ودوران الدائرة عليه وعلى جيوشه.

توغل الأمير سيف الدولة في الأراضي البيزنطية في هذه السنة ٣٤٥هـ في جمادى الآخرة مع أهل الثغور، فوصل إلى «خرشنة» و«صارخة» وفتح عدة حصون وأسر وأحرق، وأكثر القتل، ورجع إلى «أذنة»^(٢) وأقام فيها فجاءه والي طرسوس فخلع عليه وأكرمه وعاد إلى حلب.

وسبب هذه القصيدة تحدث بحضرة سيف الدولة أن البطريق أقسم عند ملكه أنه يعارض سيف الدولة في الدرب، وسأله أن ينجده ببطارقه وعدده وعدده وفعل فخاب ظنه.

بدأ الشاعر القصيدة بالحكمة فلام من يقسم لعقبى الحرب لأن عقباها مجهولة. عَقْبَى الْيَمِينِ عَلَى عَقْبَى الْوَعَى نَدَمٌ ماذا يزيدك في إقدامك القسم^(٣) يذكر المتنبي البطريق الذي أحنت يمينه لسيف الدولة، فقال وقد صغر اسمه هواناً فجعله شمشق.

(١) زكي المحاسني: شعر الحرب في أدب العرب ص ٢٩٣.

سامي الكيالي: سيف الدولة الحمداني وعصر الحمدانيين ص ٢٢٦.

أحمد صالح فاعور: الدولة الحمدانية في حلب ص ١٧٨.

(٢) أذنة: مدينة تقع غربي نهر سيحان خصبة عامرة.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ٤ ص ١٥.

أَلِ الْفَتَى ابْنُ شُمْشُقِي فَأَحْتَنَهُ
فَتَى مِنَ الضَّرْبِ تُنْسَى عِنْدَهُ الْكَلِمُ^(١)

ثم أخذ الشاعر يصف جيش الأمير في هبوبة إلى هذه الحرب حيث افتتحت
«سروج» عند الصباح وكذلك «حرّان» وكان جيش سيف الدولة يطاول الأرض
بطوله وجسامته، وكان الجيش مزوداً بخيول ضوامر، وبفرسان أبطال، وقد وردت
هذه الخيول بفرسانها «بحيرة سمّين» واستولت عليها.

فَلَمْ تُتَمَّ سَرُوجٌ فَتَحَ نَاطِرُهَا إِلَّا وَجَيْشُكَ فِي جَفْنَيْهِ مُزْدَجِمُ^(٢)
وَالْقَعُ يَأْخُذُ حَرَّاناً وَبَقَعَتَهَا وَالشَّمْسُ تُسْفِرُ أَحْيَاناً تَلْتَمِمْ^(٣)
سُحْبٌ تَمَرُّ بِحُصْنِ الرَّانِ مُمَسِكَةٌ وَمَا بِهَا الْبُخْلُ لَوْلَا أَنَّهَا نَقَمُ
جَيْشٍ كَأَنَّكَ فِي أَرْضٍ تُطَاوِلُهُ فَالْأَرْضُ لَا أُمَمٌ وَالْجَيْشُ لَا أُمَمُ
وَشُرْبٌ أَحْمَتِ الشَّعْرَى شَكَايَمَهَا وَوَسَمَتْهَا عَلَى أَنْفِهَا الْحَكَمُ^(٤)
حَتَّى وَرَدَنَ بِسَمْنِينَ بُحَيْرَتَهَا تَنْشُ بِالْمَاءِ فِي أَشْرَاقِهَا اللَّجْمُ^(٥)
وَأَصْبَحَتْ بِقَرَى هَنْزِيَطَ جَائِلَةً تَرَعَى الظُّبَا فِي خَصِيْبِ نَبْتِهِ اللَّمَمُ^(٦)

أغذت الجيوش الإسلامية سيرها حتى جاوزت نهر أرسناس، فأمر سيف الدولة
جيشه أن يخوض النهر، وبالمُنْظَرِ الموج وهو ينكشف عن صدور الخيل فيجفل

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٤ ص ١٥.

(٢) سروج: موضع بالقرب من الفرات.

(٣) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٤ ص ١٨.

(٤) شرب: الفرس الضامر.

الشعري: نجم يطلع في فصل الصيف وفيه يكون شدة الحر.

الشكائم: جمع شكيمة وهي رأس اللجام.

الحكم: جمع حكمة وهو ما على أنف الفرس.

(٥) النش: صوت الماء. مادة (نش).

اللجم: جمع لجام وهو الحديدية التي توضع في شدة الدابة. مادة (لجم) مختار الصحاح
ص ٥٩٣.

(٦) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٤ ص ١٨-٢٠.

منها وهي لا تجفل منه، لقد كان سيف الدولة أول الخائضين في نهر «أرسناس» يعبر بالجيش إلى بلد مقدور عليه الحريق، وقتل أهل البلد فصاروا عظاماً بالية.

وجاوزوا أرسناساً مُعْصِمينَ به وكيف يَعْصِمُهُمْ ما لَيْسَ يَنْعَصِمُ
ولا تصدُّكَ عن بخيرٍ لهم سَعَةٌ ولا يردُّكَ عن طَوْدٍ لهم شَمَمٌ^(١)
ضَرَبَتْهُ بصدورِ الخيلِ حاملةٌ قَوْماً إذا تَلَفُوا قَدْماً فقد سَلِمُوا
تَجَقَّلَ الموجُ عن لَبَاتِ خَيْلِهِمْ كما تَجَقَّلَ تحت الغارةِ النَّعَمُ
عَبَرَتْ تَقْدُمُهُمْ فيه وفي بَلَدٍ سُكَّانُهُ رِمَمٌ مَسْكُونُهَا حُمَمٌ^(٢)

ثم يعرض لنا صورة فنية من معانيه الحماسية فيجعل السيوف في أكف الحمدانيين ناراً عبت قبل أن يكون المجوس وما زالت إلى اليوم في اضطرام، أي إن عمر السيوف وتاريخها في دهر الحروب يعبدها الأبطال كما يعبد النار المجوس. وأن هذه السيوف من صغره صغر، ومن عظمته عظم، إن السيوف قتلت الأبطال وأخذت أنت النساء والصبيان سبياً.

وفي أَكْفَهُمُ النارُ التي عُبِدَتْ قُبِّلَ المجوسُ إلى ذا اليوم تَضْطَرُّمُ
هِنْدِيَّةٌ إنْ تُصَغَّرَ مَعْشَرًا صَغُرُوا بَحْدَها أو تُعْظَمَ مَعْشَرًا عَظُمُوا
قاسَمَتْها تَلَّ بِطريقِ فكان لها أبطالُها ولكَ الأطفالُ والحُرَمُ^(٣)

ثم يسري خياله إلى وصف الجياد، ووصف السفن التي أعدها سيف الدولة ليمض عليها بعض الجنود، فيقول إنها سفنٌ أعدّها مهندسون حربيون بأرض الروم حين دعت إليها الحاجة فجأة فكانت من نتاج رأيه، فحملت الفرسان في بطونها لا على ظهورها.

(١) الطود: الجبل.

شمم: العلو.

(٢) الرمم: العظام البالية.

العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٤ ص ٢١.

(٣) المصدر نفسه ج٤ ص ٢٢.

دُهُمٌ فَوَارِسُهَا رُكَابُ أَبْطُنْهَا مَكْدُودَةٌ وَبَقُومٌ لَا بِهَا الْأَلَمُ
مِنْ الْجِيَادِ الَّتِي كِدَتْ الْعُدُوُّ بِهَا وَمَا لَهَا خَلَقٌ مِنْهَا وَلَا شِيَمُ
نِتَاجُ رَأْيِكَ فِي وَقْتٍ عَلَى عَجَلٍ كَلَفَظَ حَرْفٍ وَعَاهُ سَامِعُ فَهَمٌ^(١)

دارت رحى المعركة فوق الدرب فصمد الروم لسيف الدولة أجسام بلا أرواح
إذ جعل الشاعر تلك الأجسام الرومية هي التي تثبت في المعركة أي تثبت طريحة
على الأرض بلا أرواح.

وَقَدْ تَمَنَّوْا غَدَاةَ الدَّرْبِ فِي لَجَبٍ أَنْ يُنْصَرُوكَ فَلَمَّا أَبْصَرُوكَ عَمَّوْا
صَدَمَتَهُمْ بِخَمِيسٍ أَنْتَ غُرَّتُهُ وَسَمَّهَرِيَّتُهُ فِي وَجْهِهِ عَمَمٌ
فَكَانَ أَثَبَتْ مَا فِيهِمْ جُسُومُهُمْ يَسْقُطَنَّ حَوْلَكَ وَالْأَرْوَاحُ تَنْهَزُمُ^(٢)

وويل «ابن شمشقيق» من تهكم المتنبي، فقد تصوّر أبو الطيب أن ابن
شمشقيق اعتذر عن يمينه التي حلفها فسألها أن تسمح له فينتهي عن الحرب وقد
انثنى، فنكص وهرب، فراحت يمينه تبتسم استهزاء منه وهو يفرّ، وكلما أمعن
بالفرار أمعنت يمينه بالابتسام.

وَأَسْلَمَ ابْنُ شُمُشْقِيْقٍ إِلَيْهِ إِلَّا انْثَنَى فَهُوَ يَنَأَى وَهِيَ تَبْتَسِمُ
لَا يَأْمُلُ النَّفْسَ الْأَقْصَى لِمُهْجَتِهِ فَيَسْرِقُ النَّفْسَ الْأَذْنَى وَيَغْتَنِمُ
تَرَدُّدُ عَنْهُ قَنَا الْفُرْسَانِ سَابِغَةً صَوْبُ الْأَسِنَّةِ فِي أَثْنَائِهَا دِيمٌ^(٣)

وغاب الفتى البطريق قائد الروم ممعناً في هربه بين الأدغال والأجسام ولولا
ذلك لقتل وألقي للطير ليأكله، ثم دعا الشاعر على الشجر الذي أخفى ذلك
البطريق بأن لا يسقي الماء.

فَلَا سَقَى الْغَيْثُ مَا وَرَاهُ مِنْ شَجَرٍ لَوْ زَلَّ عَنْهُ لَوَارِي شَخْصَهُ الرَّخَمُ^(٤)

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٤ ص ٢٣.

(٢) المصدر نفسه ج٤ ص ٢٣-٢٤.

(٣) المصدر نفسه ج٤ ص ٢٤-٢٥.

(٤) المصدر نفسه ج٤ ص ٢٥.

وأخيراً قفل سيف الدولة إلى موطنه واندفع الناس يغنون ويطربون فرحاً بهذا الظفر العظيم، ودخل سيف الدولة حلب على جواده الجبار مردداً شكره لله ويده سيفه (ذو شطب):

مُقَلِّدًا فَوْقَ شُكْرِ اللَّهِ ذَا شُطْبٍ لَا تُسْتَدَامُ بِأَمْضَىٰ مِنْهَا النَّعَمُ^(١)

ووسم المتنبي الروم ميسماً لا يبلَىٰ على الزمان حيث يقول: لكثرة ما قتلت منهم أطاعوك ولم يخالفوك، إنهم يطيعونك بغير قتل، إنك أيها الأمير تفنيهم بالقتل، فما تترك منهم أحداً حتى يموت حتف أنفه ولا تدعه حتى يكبر فيهم:

أَلَقْتُ إِلَيْكَ دِمَاءَ الرُّومِ طَاعَتَهَا فَلَوْ دَعَوْتَ بِلَا ضَرْبٍ أَجَابَ دَمٌ
يَسَابِقُ الْقَتْلُ فِيهِمْ كُلَّ حَادِثَةٍ فَمَا يُصِيبُهُمْ مَوْتُ وَلَا هَرَمٌ^(٢)

وأخيراً يمدح الأمير بقوله: إن سيف الدولة يهدي إلى دين الله:

الْقَائِمُ الْمَلِكُ الْهَادِي الَّذِي شَهِدَتْ قِيَامَهُ وَهْدَاهُ الْعُرْبُ وَالْعَجَمُ
بعث الأمير سيف الدولة رسالة إلى أبي الطيب الشاعر يطلب منه أن يعود إليه فقال الشاعر:

فَهَمُّتُ الْكِتَابَ أَبَرَّ الْكُتُبِ فَسَمِعْتُ لِأَمِيرِ الْعَرَبِ^(٣)

يصف الشاعر المتنبي الأمير سيف الدولة بأنه سيف الله لا سيف الناس:

أَيَا سَيْفَ رَبِّكَ لَا خَلْقَ لَهُ وَيَا ذَا الْمَكَارِمِ لَا ذَا الشُّطْبِ^(٤)

ثم يتطرق إلى الروم فيقول إنما جاءهم العدو لأن الأعداء أرجفوا أنك مريض:

وَعَرَّ الدُّمُوتَقَ قَوْلُ الْعُدَاةِ إِنَّ عَلَيَّا ثَقِيلٌ وَصِيبٌ^(٥)

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج٤ ص ٢٥.

(٢) المصدر نفسه ج٤ ص ٢٦.

(٣) المصدر نفسه ج١ ص ٩٦.

(٤) المصدر نفسه ج١ ص ١٠٠.

(٥) المصدر نفسه ج١ ص ١٠١.

ثم يقول وبالرغم من مرضك فإنك تقود الجيوش :

وقَدْ عَلِمْتَ خَيْلُهُ أَنَّهُ إِذَا هَمَّ وَهُوَ عَلِيلٌ رَكِبَ^(١)

ثم يصف جيش الروم وكثرته الذي جاء من أجل حرب الأمير :

أَتَاهُمْ بِأَوْسَعِ مِمنَ أَرْضِهِمْ طَوَالَ السَّيِّبِ قِصَارِ الْعُسْبِ
تَغِيْبُ الشَّوَاهِقُ فِي جَيْشِهِ وَتَبْدُو صِغَاراً إِذَا لَمْ تَغِيْبْ
وَلَا تَعْبُرُ الرِّيحُ فِي جَوِّهِ إِذَا لَمْ تَخْطُ الْقَنَا أَوْ تَثِيْبْ
فَغَرَّقَ مُذْنَهُمُ بِالْجِيُوشِ وَأَخْفَتِ أَصْوَاتُهُمْ بِاللَّجْبِ
فَأَخِيْبَتْ بِهِ طَالِباً قَهْرُهُمْ وَأَخِيْبَتْ بِهِ تَارِكاً مَا طَلَبْ
نَأَيْتَ فَقَاتَلَهُمْ بِاللِّقَاءِ وَجِئْتَ فَقَاتَلَهُمْ بِالْهَرَبِ^(٢)

ثم يقول إن أهل الثغور خروا سجداً لله عندما أنجدتهم ولو لم تأت لنجدتهم
لسجدوا للصليب، كم طردت ومنعت عنهم الهلاك لمن بغى عليهم فأهلكته .

فَخَرُّوا لِخَالِقِهِمْ سُجَّداً وَلَوْ لَمْ تُغِثْ سَجَدُوا لِلصُّلْبِ^(٣)

ثم يركز المتنبي على ضرورة الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله وإذلال كلمة
الشرك وتذكير المسلمين ليقوموا بواجباتهم الدينية والسياسية والعسكرية فيقول :

أَرَى الْمُسْلِمِينَ مَعَ الْمُشْرِكِ يَنْ إِمَّا لِعَجْزٍ وَإِمَّا رَهَبٍ
وَأَنْتَ مَعَ اللَّهِ فِي جَانِبٍ قَلِيلُ الرُّقَادِ كَثِيرُ التَّعَبِ
كَأَنَّكَ وَحْدَكَ وَحْدَتَهُ وَدَانَ الْبَرِيَّةُ بِابْنِ وَأَبِ^(٤)

* * *

(١) العكبري : التبيان في شرح الديوان ج١ ص ١٠١ .

(٢) المصدر نفسه ج١ ص ١٠١-١٠٢ .

(٣) المصدر نفسه ج١ ص ١٠٣ .

(٤) المصدر نفسه ج١ ص ١٠٤ .

هل كانت الحروب الحمدانية البيزنطية حروباً صليبية؟

تعارف المؤرخون على أنَّ بداية الحروب الصليبية كانت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة هجرية (١٠٩٥م) ولم تظهر هذه التسمية إلا في العصور الوسطى مقترنة بظهور القوى الصليبية الوافدة على بلاد الشام والتي اتخذت شارة الصليب علامة مميزة لها.

والحقيقة أنَّ الصراع بين الديانتين الإسلامية والنصرانية بدأ قبل هذا الزمن بفترة طويلة، عندما بدأ المسلمون فتح بلاد الروم في عصر صدر الإسلام، لذلك لا ينبغي أن نمرَّ على الحرب التي كانت مشتتة بين الدولة الحمدانية في زمن الأمير سيف الدولة والدولة البيزنطية دون أن نقف قليلاً نتأمل تلك الهجمات المتوالية التي كان البيزنطيون يشنونها على الثغور الإسلامية بين حين وآخر، تلك التحرشات التي كان قادة الروم يقومون بها على أهالي الثغور من المسلمين، وعلينا أن نسائل أنفسنا عمّا إذا كانت تلك الحروب الكثيرة حروباً صليبية مبكرة أو لا؟

إنَّ الحملات التي كان يقوم بها سيف الدولة الحمداني كانت حروباً وقائية فكثيراً ما كان يذهب إلى الثغور الإسلامية ليجدد أسوارها ويعلي حصونها، فتعرض له جيوش البيزنطيين، وحينئذ يضطر إلى خوض غمار معركة حامية مع البيزنطيين، حتى أصبح من عادة هذا الأمير أن يغزو في الربيع والصيف كما كان يفعل أسلافه من قادة المسلمين، ولكن هناك قرائن تاريخية تشير إلى أنَّ تلك الحروب التي كان البيزنطيون يقومون بها ضد المسلمين كانت صليبية اللون والهدف والمقصد.

يقول مصطفى الشكعة^(١): «يذهب بعض المؤرخين إلى أن يوحنا ترمسكيس هو أول من فكّر في مشروع الحروب الصليبية حين فكر في استرجاع بيت المقدس

(١) مصطفى الشكعة: سيف الدولة الحمداني ص ١٤٠-١٤١.

من المسلمين في زحفه على بلاد الشام سنة ٣٦٤هـ، ١٩٧٤م وبذلك يكون قد سيق إلى فكرة الحرب الصليبية بوقت طويل، ولكن الواقع أنَّ القائد البيزنطي «نقفور فوكاس» الذي كان نِدّاً لسيف الدولة والذي سَبَقَ تومسكيس ببضعة عشر عاماً يُعدّ أول من تبنّى الحرب الصليبية ونفذها بحيث سيطرت على كل تفكيره في كل غزوة شنها ضد المسلمين.

وقد أخذ هذا القائد يمهد لفكرته الصليبية في القسطنطينية نفسها حين كان يظهرُ في أعياد الفسح مرتدياً ملابس غريبة مذهبة، منتعلاً نعلًا مذهباً تشبيهاً بالسيد المسيح.

لقد كان هذا القائد يحشد في مقدمة جيشه البطارقة والقساوسة، ويأمر الجنود بحمل الصلبان الكبيرة بحيث يعطي الحرب صبغة مقدسة وذلك كلما خرج لحرب الحمدانيين.

وكان يؤلف جيوشه من طبقات النصارى المختلفة من روم وروس وبلغار وصقلب وأرمن، وخزر، تماماً كالجيوش الصليبية في هجماتها المعروفة فلم يكن يجمع بين الجنود من لغة أو جنس أو عادات اللهم إلا هدف الانتصار على المسلمين والاستيلاء على بيت المقدس وهذا ما فعله في معركة الحدث سنة ٣٤٣هـ، حيث صطحب معه «تودس الأعظم» صهر الدمستق وكان يتقدمهم الصليب.

وقد وصف شاعرنا المتنبي هذه الجيوش على اختلاف أجناسها بقوله:

أَتَوَكُّ يَجْرُونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ	سَرَوْا بِجِيَادٍ مَا لَهُنَّ قَوَائِمُ
إِذَا بَرَقُوا لَمْ تَعْرِفِ الْبَيْضُ مِنْهُمْ	ثِيَابُهُمْ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَائِمُ
خَمِيسٌ بَشَرِقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ زَحْفُهُ	وَفِي أُذُنِ الْجَوَازِ مِنْهُ زَمَازُمُ
تَجْمَعُ فِيهِ كُلُّ لِسَانٍ وَأُمَّةٍ	فَمَا تُفْهِمُ الْحُدَاثَ إِلَّا التَّرَاجِمُ ^(١)

(١) العكبري: التبيان في شرح الديوان ج ٣ ص ٣٨٤-٣٨٥.

وليس هناك من شيء أدل على أن الحرب التي كان يقوم بها «نقفور فوكاس» حرباً صليبية من عمله حين استولى على طرسوس فخرّب المسجد وأرغم المسلمين على التّصنر ثم صعد المنبر وقال لمن حوله: أين أنا؟ قالوا: على طرسوس، قال: لا، ولكنني على منبر بيت المقدس وقد كشف «نقفور فوكاس» عن نواياه حين وجه خطابه إلى أهل القرى المسلمين بعد عودته من الهجوم على حلب قائلاً: ازرعوا فهذا بلدنا وبعد قليل نعود إليكم.

ففكرة الحروب الصليبية كانت الرائد الجوهري لحملات «نقفور فوكاس» واحتواء جيشه على تلك الأجناس المختلفة وإفصاحه عن غايته من تلك الحروب كاسترداد بيت المقدس، كل ذلك كان دافعاً للمسلمين إلى أن يتجهوا إلى هذا الخطر الذي يهدد ديارهم، ولذلك بدأت النجذات والإمدادات من مال ورجال تتواكب على حلب من الأمصار الإسلامية، فلقد سمعوا ما فعله فوكاس بإخوانهم من طرسوس والمصيصة وما أعمل في بلاد المسلمين من قتل وتخريب وإخراجهم من دينهم وتحويلهم إلى النصرانية ونهب المساجد وحرق المنابر، كل ذلك نبه المسلمين، فتوافدت آلاف من الجنود المسلمين من شرق الدولة الإسلامية مجهزين بسلحهم وانضموا إلى سيف الدولة وبدأوا يندفعون إلى الثغور الإسلامية لتحريرها والانطلاق خلف البيزنطيين للثأر.

كانت الجيوش الإسلامية قبل أن تنطلق إلى الأراضي البيزنطية تتزود بالخطب والقصائد التي تحثهم على الجهاد والاستماتة في سبيل الله، فإما نصرٌ وإما شهادة وجنات تجري من تحتها الأنهار، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرٍ مُّجْتَمِعٍ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۖ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۚ يَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۚ وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيُسِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠-١٣].

على هذا النهج من الحرب سار نقفور فوكاس ومن أتى من بعده من أباطرة البيزنطيين وعلى هذا النهج من الدفاع والإحساس بالخطر خاضت الجيوش الإسلامية المعارك ضد عقيدة التثليث.

وعلى هذا الأساس يمكن أن يقال إنَّ حرب البيزنطيين لسيف الدولة كانت حروباً صليبية صريحة مبكرة، وقد استمر الصراع بين الإسلام والنصرانية حتى العصر الحاضر متخذاً أشكالاً عديدة من أبرزها التبشير، وأول من بدأ التبشير في البلاد الإسلامية «ريمون لول» وذلك يعد فشل الحروب الصليبية فتعلم هذا المبشر اللغة العربية وطاف في البلاد العربية الإسلامية وناقش علماء المسلمين في كثير من المسائل»^(١).



(١) الغارة على العالم الإسلامي: محب الدين الخطيب ص ٢٩.

الخاتمة

obeikandi.com

الخاتمة

تحدثت في هذا البحث «الشخصية الإسلامية في شعر المتنبي» عن الصراع بين المسلمين والروم البيزنطيين في القرن الرابع الهجري، ودور الدولة الحمدانية في هذا الصراع لا سيّما زمن الأمير سيف الدولة الذي أخذ على عاتقه مقارعة الروم، فقد خاض حوالي أربعين غزوة مع الروم كانت أغلبها له وأقلها عليه.

ثم تحدثت عن الشاعر المتنبي الذي عاش في كنف الأمير سيف الدولة منذ عام ٣٣٧-٣٤٥هـ وعن ثقافة هذا الشاعر، حيث كان مثقفاً ثقافة عربية إسلامية واسعة، فالشاعر كان واسع الاطلاع، وكان إماماً من أئمة العربية، فقد حذق العربية شعراً ولغة وإعراباً، وقد كان ملازماً لدكاكين الوراقين، وهذه الملازمة هيأت له سبيل الاتصال بكثير من المثقفين، كما أن الشاعر اتصل بكثير من العلماء كأبي علي الفارسي، وابن خالويه، وابن جني، وابن دريد وغيرهم، وقد طلب العلم وعلم العربية ونظر في أيام الناس، وتعاطى قول الشعر منذ حدوثه حتى بلغ فيه الغاية التي فاق فيها أهل عصره، وعلا شعراء وقته، كان لا يسأل عن شيء إلا استشهد بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل إن أبا علي الفارسي قال له يوماً: كم لنا من الجموع على وزن فعلى؟ فقال له في الحال: حجللى وطريللى.

قال الشيخ أبو علي: «طالعت كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجدها ثالثاً فلم أجده.

ثم تحدثت عن اتهام أبي الطيب بالتنبؤ وقسمت الذين اتهموه إلى:

أولاً: موقف القدماء: وقسمت موقف القدماء إلى ثلاث فئات:

الفئة الأولى: هذه الفئة قبلت ادعاء النبوة، ومن أعلام هذه الفئة البغدادي، وابن خلكان، والبديعي.

الفئة الثانية: وهذه الفئة متحفظة، ومن أعلامها الثعالبي.

الفئة الثالثة: وهذه الفئة أنكرت التنبؤ، ومن أعلامها أبو العلاء.

ثانياً: ثم أخذت موقف المحدثين وقسمته إلى ثلاث فئات :
الفئة الأولى: وهذه الفئة قبلت ادّعاء النبوة، ومن أعلامها الأفغاني .
الفئة الثانية: وهذه الفئة فئة متحفظة، ومن أعلامها العقاد .
الفئة الثالثة: وهذه الفئة أنكرت ادّعاء المتنبي للنبوة، ومن أعلامها طه حسين، محمود شاكر، محمد عبد الرحمن شعيب، هادي نهر .

ثالثاً: موقف المستشرقين: رفضوا اتهام المتنبي بالنبوة ونسبوه إلى القرامطة .
وقد توصلت إلى أنّ المتنبي لم يدّع النبوة وإنّما طالب بحقه في العلوية فسُجِنَ وكان من وراء سِجْنِه الحاقدون والحاسدون له والفاطميون والتونخيون وأنّ الذي ادّعى النبوة هو أحمد الأصبهاني الذي عاش في العصر نفسه الذي عاش فيه الشاعر .
ثم تطرقت في الحديث عن القرامطة وهي فئة تنتسب إلى حمدان قرمط عقيدتها فاسدة تؤله العقل، وهدفها تخريب الإسلام، وشعارها القتل وسفك الدماء وقد أباحت المحرّمات، وقد نسب المستشرقون إلى المتنبي الاتصال بهذه الفرقة، وأول من أحدث هذا الرأي (القرامطة) بلاشير، وقيدَ قوله في دائرة المعارف الإسلامية، ثم في كتابه عن أبي الطيب، كما أنّ ماسينيون ألفَ في مؤتمر المستشرقين الأخير الذي عقد في رومية بحثاً ادّعى فيه أنّ أبا الطيب كان قرمطياً وقد تلقف هذا النبا طه حسين وأثبت ذلك في كتابه مع المتنبي، وقد بينت أنّ الشاعر بريءٌ من كل ما اتهم به للأسباب التالية :

١ - أنّ أبا الطيب كان يكره سيادة العبيد والخدم، وهؤلاء استعان بهم القرامطة وجذبوهم إليهم .

٢ - أنّ أبا الطيب كان يحتقر النبط، والقرامطة نَمَت بين النُّبَط .

٣ - أنّ الشاعر لم يثبت أنّه مدح قرمطياً واحداً، ولم تؤثر عنه علاقة أو اتصال بهم وأنّ أبا الفضل لم يكن قرمطياً وإنّما كان من المتفلسفة، كما أنّ الشاعر حارب القرامطة حين هجومهم على الكوفة، كما أنّ الشاعر لم يثبت أنّه حضض على الانتساب إلى مذهبهم .

٤ - لم يشع في أي مرجع قديم ما يشير إلى هذه التهمة ولو شاع لتلقفه حساد المتنبي القدماء .

٥ - ألح على الأمير سيف الدولة من أجل القضاء عليهم .

٦ - أن الشاعر كان عربياً صحيح النسب يعتز بعروبه على حين كان للأعاجم دور كبير في توجيه القرامطة من أجل القضاء على الإسلام حتى إن أبا طاهر الجنابي زعيم القرامطة سمى ابنه «سابور» على اسم ملك الفرس كناية عن العمل لإعادة سلطانهم الغابر .

ثم عرجت إلى علاقة سيف الدولة بالشاعر منذ عام ٣٢١هـ عندما مدحه بقصيدة لما كان في «رأس عين» وتحدثت عن التقائهما بأنطاكية سنة ٣٣٧هـ عند أبي العشائر، وعن المدة التي قضاها المتنبي في كنف الأمير ٣٣٧-٣٤٥هـ، وعن القصائد التي قالها في مدح الأمير والتي تعادل ثلث شعر الشاعر وهي أفضل ما قاله الشاعر من الشعر، وتحدثت عن اشتراك الشاعر في ساحة القتال مع الأمير وحللت القصائد الجهادية التي قالها الشاعر في مدح الأمير والتي فيها كان يحث على قتال الكفار الروم من أجل إعلاء كلمة الله .

بعد ذلك عرجت على عقيدة الشاعر، وأثبت أن الشاعر كان مسلماً مؤمناً لم يتهم بإلحاد أو زندقة باستثناء تهمة التنبؤ وإن في شعره إثبات للركن الأول من أركان الإيمان وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

فالشاعر كان يؤمن بالله والملائكة والشیاطين والكتب السماوية والأنبياء ويؤمن بالبعث والحياة والموت .

كما أن الشاعر قد حفظ القرآن الكريم وظهر أثر ذلك في اقتباسه من القرآن الكريم، كما أن الشاعر كان على دراية في بعض الأحكام الفقهية والتصوف الإسلامية .

كما أن الشاعر كان يدعو إلى توحيد صفوف المسلمين من أجل القضاء على العدو البيزنطي أولاً، وعلى الأعاجم الذين تسللوا إلى الحكم ثانية .

وأخيراً شاعرنا مسلم، مؤمن، عربي، صحيح النسب لم يتنبأ ولم يتقرمط
وإنما دعا إلى توحيد صفوف المسلمين وعمل من أجل إرجاع الحكم إلى العرب
وأعني بذلك إلى أصحاب الحق الشرعيين وأنه كان علوياً عربياً، وأن في شعره
كثيراً من الملامح الإسلامية ولو لم يكن إلا شعر الجهاد لكفاه ذلك.

* * *

الفهارس

- ١ - فهرس المراجع والمصادر .
- ٤ - فهرس الموضوعات (محتويات البحث) .

obeikandi.com

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب:

- ١ - ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.
- ٢ - ابن الأثير الموصلي: ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الموصلي، ت ٦٣٧هـ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٣٩م.
- ٣ - ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن يوسف تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
- ٤ - ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، لسان الميزان، مؤسسة الأعلى للمطبوعات والنشر، ط ٢، ١٩٧١م.
- ٥ - ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون المغربي، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٨م.
- ٦ - ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ١٩٦٨م.
- ٧ - ابن رشيق: الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط ٤.

- ٨ - ابن كثير: أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٦٦م.
- ٩ - ابن ماكولا: الحافظ ابن ماكولا، ت ٤٧٥هـ الإكمال في رفع الارتباب، حيدرآباد الدكن الهند، ط ٢.
- ١٠ - ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري الافريقي، ت ٧١١هـ، لسان العرب، بيروت.
- ١١ - أحمد أمين: أحمد أمين، ظهر الإسلام، ط ٥، ١٩٦٩م.
- ١٢ - أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ط ٤، ١٩٧٢.
- ١٣ - أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة، ١٩٧٢م.
- ١٤ - الأرنؤوطي: هدى الأرنؤوطي، ثقافة المتنبي وأثرها في شعره، وزارة الثقافة والفنون، العراق، ط ١، ١٩٧٧م.
- ١٥ - ألتونجي، محمد ألتونجي، المتنبي مالىء الدنيا وشاغل الناس، الشركة المتحدة، بيروت، ط ١، ١٩٧٥م.
- ١٦ - الأنباري: كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري، ت ٥٧٧هـ، نزهة الألباء في طبقات الادباء تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة مصر.
- ١٧ - البديعي: يوسف البديعي، الصبح المنبي عن حيثة المتنبي، تحقيق مصطفى السقا، دار المعارف، ١٩٦٣م.
- ١٨ - البرقوقي: عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي ١٩٣٨م.
- ١٩ - بروكلمان: كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٩٦٨م.
- ٢٠ - تاريخ الأدب العربي، دار المعارف بمصر، ط ٢، ١٩٦٨م.
- ٢١ - البستاني: بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، ١٩٧٧م.
- ٢٢ - البغدادي: عبد القادر بن عمر البغدادي، ت ١٠٩٣هـ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، المطبعة الأميرية، بولاق، ط ١، ١٢٩٩هـ.

- ٢٣- البغدادي: أبو منصور عبد القاهر بن ظاهر بن محمد التميمي البغدادي، ت ٢٢٩، الملل والنحل.
- ٢٤- البغدادي: الملل والنحل، تحقيق البير نصري نادر، دار الشروق، بيروت، لبنان.
- ٢٥- بلاشير: بلاشير، أبو الطيب المتنبي: دراسة في التاريخ الأدبي، ترجمة إبراهيم الكيلاني، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٧٥م.
- ٢٦- البيطار: أمينة البيطار، موقف أمراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين، ص ١٦٧، ٢٣٤، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٠، دار دمشق.
- ٢٧- الثعالبي: أبو منصور الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق إيليا حاوي، ١٩٦٨م.
- ٢٨- الجبوري: عبد الله الجبوري، أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٨، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، بغداد.
- ٢٩- الجرجاني: علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار العلم للملايين، بيروت.
- ٣٠- الجندي: درويش الجندي، الشعر في ظل سيف الدولة، مكتبة الإنجلو المصرية، ط ١، ١٩٥٩م.
- ٣١- معتوق: جورج عبده معتوق، المتنبي شاعر الشخصية القومية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ١، ١٩٧٤م.
- ٣٢- الحاتمي: محمد بن الحسن الحاتمي، الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب وساقط شعره: تحقيق: محمد يوسف نجم، دار صادر، ١٩٦٥م.
- ٣٣- حتي: فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، تحقيق: جبرائيل جبور، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩م.

- ٣٤- حسن إبراهيم حسن: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٧، ١٩٦٤م.
- ٣٥- الحموي: ياقوت الحموي، ت ٦٢٦هـ، معجم البلدان، دار صادر، دار بيروت، ١٩٥٧م.
- ٣٦- الخطيب: أحمد بن علي الخطيب، ت ٤٦٣هـ، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٣٧- الخطيب: محب الدين الخطيب، ومساعد اليافي، الغارة على العالم الإسلامي، الدار السعودية للنشر.
- ٣٨- خليف: يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ٣٩- الخوانساري: ميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، تحقيق: أسد الله إسماعيليان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٠هـ.
- ٤٠- الزبيدي: محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، دار مكتبة الحياة.
- ٤١- الزركلي: خير الدين الزركلي، الاعلام، ط٣، بيروت، دار العلم للملايين.
- ٤٢- سهيل عثمان: سهيل عثمان، ومنير كنعان، المحصول الفكري عند المتنبي، دار الإرشاد، ط١، ١٩٦٩م.
- ٤٣- السيوطي: جلال الدين بن عبد الرحمن، ت ٩١١هـ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط١، ١٩٦٤م.
- ٤٤- شراره: محمد شرارة، المتنبي بين البطولة والاعتراب، تحقيق: حياة شرارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨١م.
- ٤٥- شعيب: محمد عبد الرحمن شعيب، المتنبي بين ناquديه في القديم والحديث، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٦٨م.
- ٤٦- شلق: علي شلق، المتنبي شاعر ألفاظه تتوهج فرساناً تأسر الزمان، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ط١، ١٩٧٧م.

- ٤٧- الشكعة: مصطفى الشكعة، سيف الدولة الحمداني، الدار المصرية للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٧١م.
- ٤٨- الشكعة: مصطفى الشكعة، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٨م.
- ٤٩- الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، ت٥٤٨هـ، الملل والنحل، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- ٥٠- شوقي ضيف: شوقي ضيف، البطولة في الشعر العربي، دار المعارف بمصر، ط١، ١٩٧٠م.
- ٥١- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٧٣م.
- ٥٢- شوقي ضيف: فصول في الشعر ونقده، دار المعارف بمصر، ط٢.
- ٥٣- شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف بمصر، ط١٠.
- ٥٤- الطبري: أبو جعفر بن جرير الطبري، ت٣١٠هـ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨م.
- ٥٥- طه حسين: طه حسين، مع المتنبي، دار المعارف بمصر، ط١٢.
- ٥٦- الطيب: عبد الله الطيب، الطبيعة عند المتنبي، وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ط١، ١٩٧٧م.
- ٥٧- عباس حسن: عباس حسن، المتنبي وشوقي وإمارة الشعر، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٧٣م.
- ٥٨- عبد الجليل حسن عبد الهادي: عبد الجليل حسن المهدي، أبو فراس الحمداني، مكتبة الأقصى، عمان، ط١، ١٩٨١.
- ٥٩- عبد الحميد لطفي: عبد الحميد لطفي، المتنبي فارس الفكر العربي، دار الحرية، بغداد، وزارة الاعلام، ١٩٧٧م.
- ٦٠- عبد الوهاب عزام: عبد الوهاب عزام، ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، ط٣، ١٩٦٨م.

- ٦١- العبد الله: كامل العبد الله، شعراء من الماضي، منشورات دار مكتبة الحياة، ط١، ١٩٦٢م.
- ٦٢- العشماوي: محمد زكي العشماوي، موقف الشعر العربي من الفن والحياة في العصر العباسي، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨١م.
- ٦٣- العقاد: عباس محمود العقاد، آراء في الأدب والفنون، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.
- ٦٤- العقاد: ساعات بين الكتب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٦٩م.
- ٦٥- العقاد: مطالعات في الكتب والحياة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٦٦م.
- ٦٦- العكبري: عبد الله بن الحسين العكبري، ت٦١٦هـ، التبيان في شرح الديوان، تحقيق مصطفى السقا، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م.
- ٦٧- العياش: سامي العياش، الإسماعيليون في المرحلة القرمطية، دار ابن خلدون، بيروت.
- ٦٨- غربال: محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب، ط٢، ١٩٧٢م.
- ٦٩- الغريب: عبد الله محمد الغريب، وجاء دور المجوس، دار الجيل، ١٩٨١م.
- ٧٠- فاعور: أحمد صالح الحاج شتيوي فاعور، الدولة الحمدانية في حلب ودورها في التاريخ الإسلامي، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، قسم التاريخ، مخطوط ٤٢٣ صفحة.
- ٧١- الفندي: محمد ثابت الفندي، وجماعته، دائرة المعارف الإسلامية، ١٩٣٣م.
- ٧٢- القنوجي: صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم المرقوم في بيان أحوال العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
- ٧٣- الكبيسي: حمدان عبد المجيد الكبيسي، عصر الخليفة المقتدر بالله، مطبعة النعمان، النجف، ط١، ١٩٧٢م.

- ٧٤- كوركيس عواد: كوركيس عواد، رائد الدراسة الأدبية عند المتنبي، دار الرشيد، العراق، ١٩٧٩م.
- ٧٥- الكيالي: سامي الكيالي، سيف الدولة وعصر الحمدانيين، دار المعارف بمصر.
- ٧٦- مارون عبود: مارون عبود، الرؤوس، دار الثقافة، بيروت، ط ٣، ١٩٦٧م.
- ٧٧- ماريوس كنار: ماريوس كنار، الأمير سيف الدولة الحمداني، خزانة الكتب العربية، الجزائر، ١٩٣٤م.
- ٧٨- المازني: إبراهيم عبد القادر المازني، حصاد الهشيم، دار الشروق، ط ٣، ١٩٧٦م.
- ٧٩- المحاسني: زكي المحاسني، شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي، دار المعارف بمصر، ط ٢، ١٩٧٠م.
- ٨٠- المتنبي: دار المعارف، ط ٥.
- ٨١- محمد كامل حسن: محمد كامل حسن، المتنبي، تحقيق عادل نويهض، المكتب العالمي، ١٩٧٥م.
- ٨٢- محمود محمد شاكر: محمود محمد شاكر، المتنبي، مطبعة المدني، ط ١، ١٩٧٧م.
- ٨٣- المسامي: محمد مصطفى المسامي، شعراء مصر من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الفاطمية، الهيئة المصرية العامة للمكتبات، ١٩٨٠م.
- ٨٤- المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ١٩٦٦م.
- ٨٥- المعري: أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، تحقيق عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) دار المعارف بمصر، ط ٤.
- ٨٦- الملاح: عبد الغني الملاح، المتنبي يسترد أباه، مطبعة الناجي، بغداد، ط ١، ١٩٧٤م.

٨٧- ملحس: ثريا عبد الفتاح ملحس، القيم الروحية في الشعر العربي قديمة وحديثة، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

٨٨- نبيلة إبراهيم: نبيلة إبراهيم، روميات المتنبي، مخطوط جامعة القاهرة رقم ٢٧/٩٥٤، رسالة ماجستير.

٨٩- نصرت عبد الرحمن: نصرت عبد الرحمن، شعر الصراع مع الروم في ضوء التاريخ في العصر العباسي، حتى نهاية القرن الرابع، مكتبة الأقصى، عمان، ط١، ١٩٧٧م.

٩٠- نوري جعفر: نوري جعفر، الأصالة في شعر أبي الطيب المتنبي، مطبعة الزهراء، بغداد، ط١، ١٩٧٦م.

٩١- هادي نهر: هادي نهر، مع المتنبي في شعره الحربي، مطبعة الجامعة، بغداد، ط١، ١٩٧٩م.

٩٢- الهنداوي: خليل الهنداوي، سيف الدولة الحمداني، دار الشروق العربي، ط١.

٩٣- وجدي: محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، بيروت.

٩٤- الولي: طه الولي، القرامطة أول حركة اشتراكية في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨١م.

٩٥- اليازجي: ناصيف اليازجي، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، دار العلم، بيروت، ط٢.

ثالثاً: الدوريات:

١ - الألوسي: جمال الدين الألوسي، مجلة العربي، ع٢٢٦، ١٩٧٨م.
المتنبي: شاعر كل العرب ص٣٧-٤٠.

٢ - خلوصي: صفاء خلوصي، مجلة العربي، ع١٦٣، ١٩٧٢م.
ابن جني صديق المتنبي وشارح ديوانه ص١٢٨-١٣٤.

- ٣ - دواره : فؤاد دواره، مجلة الكويت، ع٧، ١٩٨١م.
ثورة المتنبي ص٥١-٥٥.
- ٤ - السامرائي: عبد الجبار محمود السامرائي، مجلة العربي، ع١٥٦، ١٩٧١م.
شعر الملاحم في الأدب العربي ص٦٧-٧١.
- ٥ - العسلي: بسام العسلي، مجلة القدس، ع٢٩، ١٩٦٢م.
مجاهدون في سبيل الله، الحمدانيون وحرب الثغور.
- ٦ - قلعجي: قدرى قلعجي، المجلة العربية، ع٧، ٨.
المتنبي فارساً.
المتنبي وسيف الدولة، السعودية.
- ٧ - كنون: عبد الله كنون الحسني، مجلة الرسالة، ع١٢٩، ١٣٠ سنة، ١٩٣٥م.
السنة الثالثة.
المتنبي في ديوانه بمناسبة ذكره الألفية.
- ٨ - الهاشمي: عادل الهاشمي، مجلة الأديب، ج١١، السنة الثامنة عشرة
المجلد ٣٦، بيروت، ١٩٥٩م.
المتنبي، بطولة متفجرة في إهاب شاعر.
- ٩ - مجلد المورد، المجلد السادس، ع٣، ١٩٧٧م.
عدد خاص عن أبي الطيب المتنبي.

